الإمام علي عليه السلام

من الولادة إلى الشهادة

محمد حسن دخيل

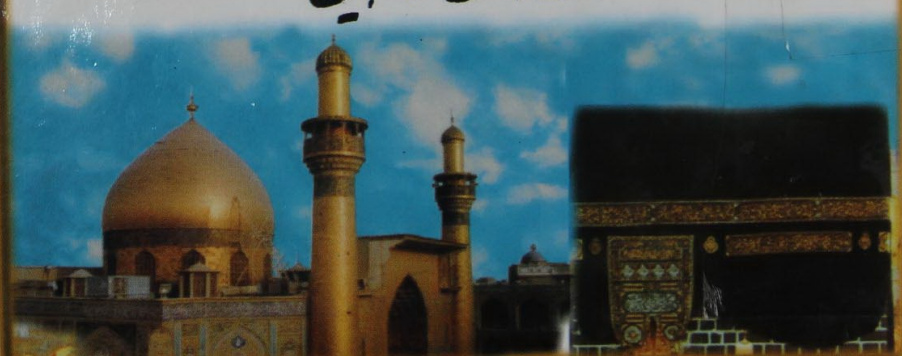

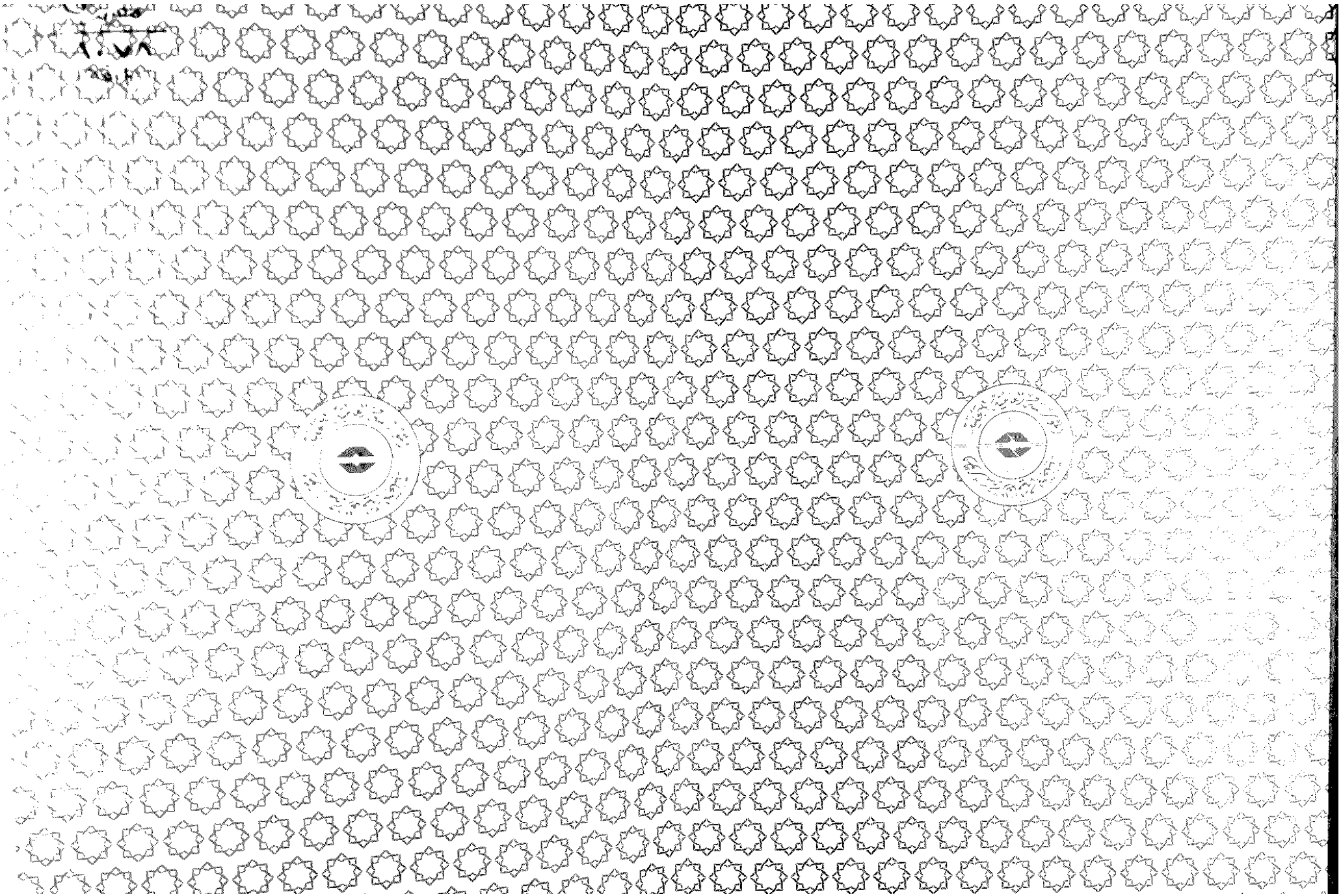

الإمام علي عليه السلام

من الولادة إلى الشهادة

٢٧/٣٥
/د٣١
٨ الد

الإمام علي عليه السلام

من الولادة إلى الشهادة

محمد حسن دخيل

دار المرتضى
بيروت

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى
١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار المرتضى
للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان ـ بيروت ـ ص. ب: ٢٥/١٥٥ الغبيري، هاتف: ٠١/٨٤٠٣٩٢
e.mail: mortada 14 @ hot mail. com

الإهداء

إلى صاحب الأمر، وقائم آل محمد، إلى المهدي المنتظر، مهدي هذه الأمة، يا بقيّة الله في أرضه، وحُجته على عباده، يا مطهّر الأرض من الظلم، يا حُجة بن الحسن ـ روحي لك الفداء ـ أهدي إليك هذا الكتاب عن سيرة جدّك أمير المؤمنين عليه السلام وأملي ورجائي منك يا مولاي القبول. . .

المؤلف

قبل البدء كلمة

حياة الامام علي عليه السلام ملؤها معانٍ وروائع كبرى لا يستطيع أيٌّ من عباقرة الفكر، وأئمة العلم الإحاطة بمختلف جوانب شخصيته عليه السلام، وكيف يتسنّى لهم ذلك وقد قال في حقّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **«يا علي ما عرف الله إلاّ أنا وأنت ولا عرفني إلاّ الله وأنت، ولا عرفك إلاّ الله وأنا»**.

وكيف يحيط القلم بشخص يقول فيه حبر الأمة عبد الله بن عباس «رحمه الله» وقد سأله سائل: «ما أكثر فضائل علي بن أبي طالب، وإني لأظنّها ثلاثة آلاف؟ فقال له ابن عباس: هي إلى الثلاثين ألف أقرب من ثلاثة آلاف، ثم قال ابن عباس: لو أن الشجر أقلام، والبحر مداد، والإنس والجن كُتّاب وحسّاب، ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك،

فقد قال أحمد بن حنبل: «ما وَرَدَ لأحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما وَرَدَ لعلي» ولكنني في عملي هذا أذكر قليلاً من كثير، وأغرف من بحر محيط.

وإن ما قمت به من جهدٍ متواضع في هذا الكتاب لم يتعدّ عرض مختصر لسيرته الغرّاء وجمع بعض مناقبه صلوات الله عليه وعرضها مع التعليقات المختصرة وكذلك مع الاستشهاد ببعض الأقوال المبينة لفضله ومكانته عليه السلام.

آملاً من الله تعالى القبول، وراجياً أن أكون قد وفّقت في هذا العمل المتواضع.. والله من وراء القصد.

* * *

أمير المؤمنين

تحلو هذه الكلمة (**أمير المؤمنين**) للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فهي له حقيقة، ولغيره مجاز، استحقها بصفاتٍ لم تجتمع لأحدٍ غيره بعد الرسول الأعظم ﷺ، فجعلت منه عنواناً لكل فضيلة.

وكيف لا يكون كذلك وقد آمن بنبي الهدى منذ صغره، وصدّقه برسالته، وجاهد أعداءه، وبات في فراشه يقيه بنفسه من عدوه، وذبّ عن حمى الإسلام بسيفه...

وأطلق هذا اللقب على الإمام علي عليه السلام بنصّ من الله ورسوله.

إمّا بنصّ من الله، فإن الله عزّ وجلّ أوحى إلى رسوله

الكريم ﷺ : «يا محمد اخترتُ لك علياً وهو أمير المؤمنين حقاً، لم ينلها أحدٌ قبله وليست لأحدٍ بعده»[1].

وما وَرَد في الأحاديث النبوية الشريفة، فعن حُذيفة، قال: أقبل علي بن أبي طالب، فقال رسول الله ﷺ : «جاء أمير المؤمنين»[2].

وإنّ أبا ذر الغفاريّ عندما مرض، قيل له: أوصِ. قال: قد أوصيتُ. قيل: إلى مَنْ؟ قال: إلى أمير المؤمنين قيل: عثمان!؟ قال: «لا... ولكن أمير المؤمنين حقاً حقاً، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام »[3].

وعن بُريدة الأسلمي، قال: «أمرنا رسول الله ﷺ : أن نسلّم علىٰ عليّ بن أبي طالب بامرة المؤمنين»[4].

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ : يا أنس اسكب لي وضوءاً، ثم قام فصلى ركعتين، ثم قال: يا أنس

(١) المناقب للخوارزمي ص ٢٤٠.
(٢) الإمام علي في الأحاديث النبوية ص ١٧.
(٣) النهاية. ٢/ ١٢٤.
(٤) ملامح شخصية الإمام علي: ٢٥١.

أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين... قال: فدخل الإمام علي عليه السلام »[1].

وقال عبدالله بن عباس (رحمه الله): «ما نزلت ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إلاّ وعلي أميرها»[2].

وعن الثماليّ، قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام : يا بن رسول الله لِمَ سمي علي أمير المؤمنين وهو اسمٌ ما سُمي به أحد قبله ولا يحل لأحد بعده؟ قال: لأنه ميرة العلم يُمتار منه ولا يمتار من أحد غيره[3].

* * *

(١) حُلية الأولياء ١/ ٦٣.
(٢) ينابيع المودة: ٢/ ١٠٦.
(٣) يمتار منه: يُؤخذ منه، علل الشرائع ١/ ١٦٠.

الولادة

أجمع المؤرخون وأهل السير على أن ولادته عليه السلام كانت في الكعبة المشرفة، وهذه منقبة لم يشاركه فيها أحد من قبله، ولا من بعده، إجلالاً له وإعلاءً لمرتبته، واظهاراً لكرامته.

فقد روى الشيخ الصدوق حديث ولادته عليه السلام: عن يزيد بن قعنب قال: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) وفريق من بني عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملاً به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: يا رب إني مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل عليه السلام، وأنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا

البيت، والمولود الذي في بطني إلاّ ما يسّرت عليّ ولادتي.

قال يزيد بن قعنب: فرأيتُ البيت قد انشق عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، وعاد إلى حاله، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك من أمر الله تعالى ثم خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم قالت: إني فُضّلت على من تقدّمني من النساء لأن آسية بنت مزاحم قد عبدت الله سرّاً في موضع لا يحب الله أن يُعبد فيه إلاّ اضطراراً، وأن مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة حتى أكلت منها رطباً جنياً، وأني دخلتُ بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف وقال: يا فاطمة سميه علياً، فهو عليٌّ، والله العلي الأعلى يقول: شققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، وأوقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسّر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدّسني ويمجّدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه»[1].

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ١١٦.

والملاحظ في حديث ولادته سلام الله عليه أُمور عدّة:

فالأمر الأول: هو أنّ السيّدة الجليلة فاطمة بنت أسد والدة الإمام عليه السلام، هي امرأة جليلة القدر، عظيمة المنزلة عند الله جل شأنه، ويتبيّن ذلك من كلامها في مخاطبة المولى عزّ وجل والأمر الثاني: إن البيت قد انشقّ بمعجزة خارقة، إذ إن السيدة فاطمة لم تدخل من الباب المعتاد، بل بإعجاز ربّاني وهو دخولها من احدى جوانب البيت بعد انشقاق الجدار، دليلٌ على المعجزة، واظهار للمنزلة والفضل للإمام علي عليه السلام، والأمر الثالث إن هذا المولود الكريم قد وُلد في أقدس بيت على الأرض ألا وهو بيت الله العظيم، الكعبة المشرّفة، أي في ضيافة الله هو ووالدته، والضيف يُقدَّم له الطعام، وكان طعام هذه السيدة من ثمار الجنّة.

والأمر الرابع: «طوبى لمن أحبه وأطاعه» طوبى: الجنة من نصيب من يحبّه، والمحبة لوحدها لا تكفي بل و «أطاعه» «وويلٌ لمن أبغضه وعصاه» ويل: وادٍ في جهنّم لمن يبغض عليّاً قائد الغرّ المحجلين وخاتم الوصيين.

ومن المعاجز التي حصلت عند ولادته كما ذكر الشيخ

الصدوق رضوان الله عليه أنه ظهر نور من عنان السماء إلى ظهر الكعبة، وسقطت الأصنام التي كانت على الكعبة على وجوهها، وصاح إبليس وقال: ويل للأصنام وعبَدَتِها من هذا المولود[١].

وقد تطرّق السّيد الحميري في نظمه إلى هذه الفضيلة التي خصّ الله سبحانه وتعالى الإمام بها:

ولَـدتـه فـي حَـرَم الإلـه وأمنـهِ ... والبيـتُ حيـث فنـاؤه والمسجـدُ
بيضـاءُ طـاهـرةُ الثيـاب كـريمـةٌ ... طـابـتْ وطـابَ وليـدُهـا والمـولـدُ
فـي ليلـة غـابـت نحـوس نجـومهـا ... وبـدا مـع القمـر المنيـر الأسعـد
مـا لُـفّ فـي خـرق القـوابـل مثلـه ... إلاّ ابـن آمنـة النبـي محمـد[٢]

***

(١) المائة منقبة ص ١٩.
(٢) الدروس البهيّة: ص ٣٢.

إسلامه عليه السلام

أجمع المؤرخون على أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان أول الناس إسلاماً.

فقد قال عليه السلام: «بُعث رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وأسلمتُ يوم الثلاثاء»[1].

فقد دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الاعتراف له بالنبوة، والتصديق له بالرسالة، وذلك يوم بعثه الله تعالى، فكان أول من آمن بالله جل جلاله.

قصد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله المنزل ومعه علي، وهال خديجة رضوان الله عليها ما رأت عليه من أنوار الله البهية، والأشعة القدسية، فسألته عن ذلك، فأجابها صلى الله عليه وآله: إنها أنوار النبوة يا خديجة، إشهدي بأن لا إله إلاّ الله، وأنا عبده

(١) مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٠٢.

ورسوله، فشهدت، فكانت أول امرأة آمنت برسالة السماء.

وإن جُل علماء المسلمين يرى أنه عليه السلام كان السابق إلى الإسلام، فهذا «ابن عبد البر» يروي في الاستيعاب عدة روايات في هذا الشأن، وهذا «ابن أبي الحديد» المعتزلي يقول:

«وما أقول في رجلٍ سبق الناس إلى الهدى، وآمن بالله وعبده، وكل من في الأرض يعبد الحجر، ويجحد الخالق لم يسبقه إلى التوحيد إلاّ السابق إلى كل خير: محمد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ويقول هو عليه السلام: «أنا أول من صدّقه».

وقال عليه السلام: «أسلمت قبل إسلام الناس، وصلّيتُ قبل صلاتهم».

وقال عليه السلام: «أنا أول رجل أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله:

سبقتكم إلى الإسلام طُرّاً غلاماً ما بلغت أوان حلمي

***

في القرآن الكريم

ما أكثر الآيات التي نزلت في الإمام علي عليه السلام ولقد ألفت عدة كتب في ذلك. . . ونذكر منها على سبيل المثال:

الشيخ محمد جواد مغنية له: علي والقرآن.

صادق مهدي الحسيني له: علي في القرآن.

محمد بن مؤمن الشيرازي له: نزول القرآن في شأن أمير المؤمنين عليه السلام.

الشيخ المفيد له: كتاب في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام في القرآن.

علي محمد دخيل له: عليٌّ في القرآن.

نستعرض عدة آيات نزلت فيه عليه السلام:

قال عبد الله بن عباس ـ حبر الأمة ـ نزل في علي ثلاثمائة

آية[١].

وأيضاً عن ابن عباس ـ في قوله تعالى: **﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾** قال: نزلت في الإمام خاصة وهو أول مؤمن، وأول مصلٍّ بعد النبي صلى الله عليه وآله[٢].

وعن مجاهد في قوله تعالى: **﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾** قال: جاء به محمد صلى الله عليه وآله وصدّق به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[٣]

وعن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى: **﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾** قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام[٤]

وعن ابن عباس قال: لما نزلت الآية: **﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾** قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا المنذر وعلي

(١) الغدير: ج ١ ص ٣٣٤.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١٤.
(٣) المناقب للمغازلي: ٢٧٠.
(٤) ينابيع المودة: ١/١٠٣.

الهادي، بك يا علي يهتدي المهتدون[1].

وعن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ فأقبل علي عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهُمُ الفائزون يوم القيامة، فنزلت الآية الشريفة: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة﴾** فكان أصحاب الرسول الأعظم ﷺ إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البريّة[2].

وعن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قوله تعالى: **﴿هنالك الولاية لله الحق﴾** فقال عليه السلام: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[3]

وروى جمع كبير من المفسرين في تفسير قوله تعالى: **﴿فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾** عن الرسول الأعظم ﷺ قال: صالح المؤمنين علي بن أبي طالب[4].

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ٢٧٠.
(٢) الإمام علي للهمداني: ٢٢٤.
(٣) أصول الكافي: ١/ ٤٢٢.
(٤) تفسير الألوسي ٢٨/ ١٣٥.

في أحاديث الرسول الأعظم (ص)

لم يزل الرسول الأكرم ﷺ منذ بعثه الله تعالى وحتى يوم وفاته يشيد بأمير المؤمنين عليه السلام في كل نادٍ ومحفل مشيراً بذلك إلى فضله وسبقه إلى الإسلام وجهاده في سبيل الله وهنا يقول ابن أبي الحديد: «روى عطاء بن شداد، قال: إنَّ الأحاديث الواردة في فضل عليّ لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة الانقطاع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طول المدّة وشدّة العداوة، ولولا أنّ لله تعالى في هذا الرجل ـ يعني علياً ـ سراً يعلمه من يعلمه لم يُروَ في فضله حديث ولا عُرفت له منقبة... ولو أراد أحد أن يجمع أحاديث الرسول الأكرم ﷺ في الإمام لاستوعبت المجلدت وحسبُنا بهذا القليل:

ـ قال رسول الله ﷺ : علي مع الحق والحق مع علي[1].

ـ قال رسول الله ﷺ : أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت بابه[2].

ـ قال رسول الله ﷺ : إن علياً مني وأنا من علي وهو وليّ كل مؤمن بعدي[3].

ـ قال رسول الله ﷺ : من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله[4].

ـ قال رسول الله ﷺ : لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق[5].

ـ قال رسول الله ﷺ لعلي: أنت أخي ووصيي ووزيري

(١) تاريخ بغداد: ١٤/ ٣٢١.
(٢) أعيان الشيعة: ١/ ٣٤٤.
(٣) أعيان الشيعة: ١/ ٣٥٠.
(٤) بحار الأنوار: ٣٧/ ٢٦٨.
(٥) الاستيعاب: ٦٠.

ووارثي وخليفتي من بعدي[1].

ـ قال رسول الله ﷺ : علي قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله[2].

ـ قال رسول الله ﷺ : حُب علي بن أبي طالب حسنة لا تضرُّ معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة[3].

ـ قال رسول الله ﷺ : أنت سيّد في الدنيا وسيد في الآخرة، من أحبك فقد أحبني، ومن أبغضك فقد أبغضني[4].

ـ قال رسول الله ﷺ : علي خير البشر، ومن أبى فقد كفر[5].

عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ : من أحبَّ علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحبّ الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد

(١) الاستيعاب: ٦٠.
(٢) موسوعة الاعيان: ١/ ٣٣٦.
(٣) التفسير الكبير أبو إسحاق الثعالبي.
(٤) كشف الغمة: ١/ ٩٣.
(٥) تذكرة الخواص: ٥٢.

أبغض الله[1].

قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ الله تعالى جعل لأخي عليّ فضائل لا تُحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مُقرّاً بها، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ومن كتب فضيلة من فضائله، لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله، غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر فضيلة من فضائله، غَفَرَ الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر».

ثم قال:

«النظر إلى أخي علي بن أبي طالب عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل الله إيمان عبد إلاّ بولايته، والبراءة من أعدائه».

[كشف اليقين للحلي: ٤]

(١) تفسير الطبري: ٣٠/٤٦.

اليوم الأول

بعد أن أنزل الله سبحانه وتعالى الآية الشريفة على نبيّه الكريم ﷺ:

﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ عند ذلك دعا رسول الله ﷺ علياً وقال له: اصنع لي صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عسّاً من لبن واجمع لي بني عبد المطلب حتى أُكلمهم وأُبلغهم ما أُمرت به. ففعل الإمام عليه السلام ما أمره ثم دعاهم وهم أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً... وفيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة وأبو لهب وغيرهم... فأحضر الإمام لهم الطعام ووضعه بين أيديهم وكان بإمكان الرجل أن يأكله بأكمله، فتهامسوا وتبادلوا النظرات الساخرة من تلك المائدة، ثم مدوا أيديهم

إليها وجعلوا يأكلون ولا يبدو عليها النقص حتى شبعوا وبقي من الطعام ما يكفي لغيرهم وتبادلوا النظرات كالمدهوشين، ثم شربوا من ذلك اللبن وبقي ما يكفي لغيرهم، ولم يستطع أبو لهب أن يكتم ما بنفسه من الحقد والكراهية للرسول، وكان النبي قد استعد للحديث معهم عن الإسلام فسبقه أبو لهب والتفت إلى الحاضرين وهم لا يزالون في حيرة من ذلك الطعام وقال: لقد سحركم محمد بما ترون!!.

فانصرف القوم قبل أن يكلمهم النبي بشيء عن الإسلام وفي اليوم التالي قال للإمام: يا علي قد رأيت كيف سبقني هذا الرجل إلى الكلام، فاصنع لنا طعاماً في غد واجمعهم كما جمعتهم أولاً، فبادر الإمام إلى تنفيذ أمر النبي ودعاهم إلى الطعام... فلما أكلوا وشربوا، قال لهم النبي: ما أعلم إنساناً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم، لقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إلى الإسلام.

ثم قال لهم: أيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم من بعدي؟.

فسكتوا ولم يتكلم منهم أحد، فقال الإمام علي (سلام الله عليه) ـ وكان أحدثهم سناً ـ: أنا يا رسول الله.

فأعاد عليهم الحديث ثانياً وثالثاً وفي كل مرة لا يجيبه غير الإمام عليه السلام فلما رأى إحجامهم أخذ برقبة الإمام وقال:.

«إن هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»[1].

* * *

١) كنز العمال ٦ ص ١٥٦.

مبيته على فراش الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم

بعد أن توفيت السيدة خديجة (رضوان الله عليها)، وبعد فترة يسيرة توفي حامي الرسول سيدنا أبو طالب، وكانا بمنزلة جناحين لرسول الله ﷺ، خيّمت الأحزان على قلب رسول الله، حتى سُمي ذلك العام بـ (عام الحزن).

عند ذلك خلا الجو للمشركين، واستضعفوا النبي لفقدان الناصر، وعزموا على اغتياله وقتله:

اجتمع المشركون في دار الندوة، وتذاكروا في قتله ﷺ وبعد المداولات تقرّر أخيراً أن يجتمع من كل قبيلة رجل واحد ويهجموا على النبي ﷺ، فيضيع دمه بين القبائل، وكان من بين الجناة عمه أبو لهب، عند ذلك هبط الأمين

جبرائيل على رسول الله ﷺ وأخبره بما يكيدون له وأمره بالهجرة من مكة إلى المدينة، فقال النبي ﷺ عندئذٍ لعلي: يا علي إن الروح الأمين هبط عليّ يُخبرني أن أهجر دار قومي وأن انطلق إلى غار ثور، وأنه أمرني أن آمرك بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليه أثري فما أنت قائل وصانع؟.

فقال عليه السلام: أو تسلمن بمبيتي هناك يا نبي الله؟.

قال: نعم. فتبسم الإمام عليه السلام ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لما أنبأه به رسول الله ﷺ من سلامته.

انطلق النبي إلى الغار، ونام الإمام في مكانه والتحف ببُرده، فجاء المشركون يريدون أن يقتلوا النبي ﷺ فجعلوا يرمون علياً وهم يتصوّرون أنه النبي، وكان الإمام عليه السلام يتلوّى من الألم ولا يتكلم لئلا يعرفوه. وما زالوا يرمون الإمام عليه السلام حتى طلع الفجر، فتواثبوا إلى الدار شاهرين سيوفهم وقصدوا نحو مضجع النبي ومعهم خالد بن الوليد فقال لهم أبو جهل: لا تقعوا به وهو نائم لا يشعر، ولكن ارموه بالأحجار لينتبه بها ثم اقتلوه!!!.

فرموه بأحجار ثقال صائبة، فكشف عن رأسه، وقال:

ما شأنكم؟ فعرفوه فإذا هو علي عليه السلام وقالوا له: أين محمد؟ قال: أفجعلتموني عليه رقيباً؟! ألستم قلتم: نخرجه من بلادنا! فقد خرج عنكم...[1].

وكان الإمام سلام الله عليه يفتخر بهذا الموقف فيقول:

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
محمّداً لما خاف أن يمكروا به ... فوقاه ربي ذو الجلال من المكر

واعلم رعاك الله أن هذا الموقف عظيم، فقد باهى الله سبحانه وتعالى به ملائكته، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرائيل وميكائيل: إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيّكما يُؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كل منهما الحياة، فأوحى الله عزّ وجلّ إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة!! اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا، فكان جبرائيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وكان جبرائيل يقول: بخٍ بخٍ! من مثلك يا بن أبي طالب يباهي الله به ملائكته؟!...

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر للحسني: ١/ ١٥٥ بتصرّف.

أين هذا من راقد في فراش المصـ ... ـطفى يسمع العدى ويراها
فاستدارت به عتاة قريش ... حيث دارت بها رحى بغضاها
وأرادت به مكائد سوء ... فشفى الله داءها بدواها
ورأت قسّوراً لو اعترضته الإنـ ... ـس والجن في وغىً أفناها

وفي هذا الموقف يقول شاعر أهل البيت الحاج هاشم الكعبي:

فعلى الفراش مبيت ليلك والعدى ... تهدي إليك بوارقاً ورعودا
فرقدت مثلوجَ الفؤادِ كأنّما ... يهدي القِراع لسمعك التغريدا
واستصبحوا فرأوا دَوَيْنَ مرادهم ... جبلاً أشمّ وفارساً صنديدا
رصدوا الصباح لينفقوا كنز الهدى ... أو ما دَرَوْا كنز الهدى مرصودا

* * *

حديث المؤاخاة

ومما عمله رسول الله ﷺ في المدينة هو المؤاخاة بين أصحابه، تقويةً للروابط بينهم، وتأليفاً بين قلوبهم، وليكون التعاون بينهم أكثر وأشمل. ولعمري لو لم يكن للإسلام من فضل على الصحابة إلاّ هذا لكفى، فقد انشدّ المسلم بأخيه المسلم أضعاف ما بين الأخوة من أب وأُمّ...

فقد روى البلاذري عن ابن عبّاس: لما نزل قوله تعالى ﴿**إنما المؤمنون اخوة**﴾ آخى رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر، وعثمان وعبد الرحمن وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري، وبين المقداد وعمار بن ياسر... حتى آخى بين أصحابه بأجمعهم على قدر منازلهم.

فقال الإمام عليه السلام عندئذٍ: يا رسول الله آخيت بين أصحابك فمن أخي؟.

قال رسول الله ﷺ: أما ترضى يا علي أن أكون أخاك؟ فقال الإمام: بلى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك:

ومن حين آخى بين من كان حاضراً ... دعاني وآخاني وبيّن من فضلي
لك الفضل إني ما حييت لشاكر ... لإتمام ما أوليت يا خاتم الرُّسلِ

ورحم الله الأزري حيث قال:

ليت عينا بغير روضك ترعى ... قـذيـت واستمـرّ فيهـا قـذاهـا
أنـت بعـد النبـيّ خيـرُ البـرايـا ... والسمـا خيـرُ مـا بهـا قمـراهـا
لـك ذات كـذاتـه، حيـث لـولا ... إنهـا مثلهـا لمـا آخـاهـا

وإنّ ما قام به الرسول الأكرم ﷺ من المؤاخاة بينه وبين الإمام علي عليه السلام إن هو إلا اظهار لفضل الإمام، واعلانه للجمهور أنه الموصى عليه من قبل المولى عزّ وجلّ.

وهذه مرتبة سامية، ووسام تقدير شريف للإمام أمير المؤمنين.

* * *

(١) أخرجه كل أهل السير وعلماء الحديث.

حديث المنزلة

الأحاديث النبويّة في الإمام عليه السلام لا تكاد تُحصى من كثرتها، وحتى أنّ أهل المعاجم والصحاح أفردوا لها أبواباً في كتبهم، وأجمع على صحتها السلف والخلف، وأفردتُ هذا الحديث بفصلٍ مستقلٍّ لما له من قصة، ولما فيه من دلالة...

أما القصة: لما خرج الرسول الأمين صلى الله عليه وآله لغزوة تبوك، وكان جوّ المدينة متلبداً، المنافقون أصبحوا يشكلون قوة فيها، يُضاف إلى ذلك الخوف من بعض القبائل أن تستغل فرصة غياب الرسول صلى الله عليه وآله عن المدينة، وجمهور المسلمين، فتهجم على المدينة، فرأى الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله أن يخلّف فيها علياً عليه السلام، ومعنى ذلك أنّه خلّف فيها قوة كبرى،

وجيشاً جرّاراً لما يتمتع به عليه السلام من شجاعة ملأت صدور الأعداء رُعباً وخوفاً...

وأدرك القوم أن الفرصة قد فاتتهم باستخلاف الإمام عليه السلام فأشاعوا في المدينة قولهم: إنّما خلّفه استثقالاً منه، وبلغه عليه السلام ذلك فالتحق برسول الله صلى الله عليه وآله وهو لا يزال في بداية الطريق، وشكا له قولهم، ويجيبه صلى الله عليه وآله: **ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبي بعدي**[1]..

وأما دلالته: فهو نصٌّ صريح على خلافته عليه السلام، ألا تسمع ما حكاه الله جلّ جلاله قول نبي الله موسى عليه السلام: **﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتّبع سبيل المفسدين﴾**[2].

* * *

(١) أخرجه كل أهل السير وعلماء الحديث.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.

شبيه الأنبياء

اجتمعت في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كل خصال الأنبياء، ولقد ورث عنهم صفاتهم، حتى أصبح جامعاً للصفات النبويّة، ومستودعاً للشمائل الروحيّة...

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: من أراد أن ينظر إلى إسرافيل في هيبته، وإلى ميكائيل في رتبته، وإلى جبرائيل في جلالته، وإلى آدم في علمه، وإلى نوح في خشيته، وإلى إبراهيم في خلّته، وإلى يعقوب في حزنه، وإلى يوسف في جماله، وإلى موسى في مناجاته، وإلى أيوب في صبره، وإلى يحيى في زهده، وإلى عيسى في عبادته، وإلى يونس في ورعه، وإلى محمد في حسبه وخلقه، فلينظر إلى علي، فإنَّ فيه تسعين خصلة من خصال الأنبياء، جمعها الله فيه ولم يجمعها في أحد غيره[1].

(١) ينابيع المودة: ٢/ ٨٠.

إمامته عليه السلام

من خلال جهاد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم استطاع أن يحقّق عدة أهداف أهمها:

قضى على الشرك، ونشر التوحيد في أرجاء الجزيرة العربية حتى كاد أن ينتشر في معظمها.

قضى على العادات والتقاليد الجاهلية العمياء، كوأد البنات وإلى ما شابه ذلك.

هذَّب تلك النفوس الدنيئة وحوّل تلك الطباع الشرسة إلى نفوس تعيش في جوّ ديني رفيع.

عمل على المؤاخاة بين أصحابه، وبذلك استطاع أن يوحّد صفوف المسلمين بمواجهة الأخطار الخارجيّة والداخلية...

لكن عمر النبي المحدود لم يسمح بتحقيق كل الأهداف التي ينشدها الإسلام.

فالإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ لم يكن لأبناء الجزيرة العربية فحسب بل إنه دين سماوي يجب أن يعم كل أرجاء هذه البسيطة اضافة إلى ذلك، فالمسلمون بحاجة إلى من يعلّمهم ويرشدهم بعد وفاته ﷺ، هم بحاجة إلى مرشدٍ يرعى شؤونهم، إلى قائدٍ يوجّههم، إلى معلمٍ يعلّمهم...

أيعقل أن يترك نبي الإسلام أمته حائرة؟.

أيعقل أن يترك رسول الله أمته من دون مرشد أو معلم أو قائد؟!..

إن جميع زعماء العالم يركّزون على تنصيب خليفة لهم، يسير على نهجهم، ويعمل على تحقيق أهدافهم.

وإن عدم تعيين النبي ﷺ خليفةً له ـ كما يدّعي بعضهم ـ معناه اهمال هذه الأمة وافساح المجال لاثارة الفتن والنزاعات، فهل يُعقل ذلك لنبي الهدى، ورسول الإسلام؟!.

إن العقل قبل الشرع يحكم بذلك، فلماذا نستثني من هذه

القاعدة نبي الهدى ورسول الإسلام، وأنه ـ كما يزعم البعض ـ ترك أمته هملاً من دون قائد... لا، لا، ليس هذا بصحيح، إنَّه من بداية البعثة النبويّة المباركة كان يركّز على شخص الإمام عليه السلام، ألا تسمع ما رواه أهل السير والتاريخ عن حديث يوم الدار حيث دعا ﷺ بني عبد المطلب وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، فقال لهم:

«يا بني عبد المطلب إنّي والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم من بعدي؟ فأحجم القوم عنه.

فقال الإمام عليه السلام: أنا يا رسول الله.

فأعاد عليهم الحديث ثانياً وثالثاً وفي كل مرة لا يجيبه غير الإمام عليه السلام، فلما رأى إحجامهم أخذ برقبة الإمام عليه السلام وقال: «إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا» فقام القوم يتضاحكون ويقولون لأبي طالب: قد أُمرت أن تسمع لابنك وتطيع[1].

(١) تفسير فرات الكوفي: ١٠٩.

وقال ﷺ: «لكل نبي وصي ووارث، وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب»[1].

وقال ﷺ: «علي وصيي ووارثي وهو مني وأنا منه»[2].

وأزيدك: إنّ الصحابة والتابعين كانوا متسالمين على أنه صلوات الله عليه هو الوصي بدليل ما ورد من أشعارهم:

يقول حسّان بن ثابت:

علي وصي المصطفى وابن عمه ... وأول من صلى لدى العرش واتقى

ويقول خزيمة بن ثابت ـ ذو الشهادتين ـ مخاطباً عائشة:

وصي رسول الله من دون أهله ... وأنت على ما كان من ذاك شاهدة

ويقول عبد الله بن عباس:

وصي رسول الله من دون أهله ... وفارسه إن قيل هل من منازل[3]

كذلك أجمع أهل التاريخ والحديث على قوله ﷺ في

(١) المراجعات: ٢٨٧.
(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ٣/ ١٠٦.
(٣) وصي الرسول الأعظم للسيّد علي الحيدري: ١٢٣.

غزوة تبوك وقد خلّفه في المدينة وهو يقول: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي».

إن الرسول الأعظم ﷺ لم يزل خلال الثلاث والعشرين عاماً من عمر النبوة يشيد بالإمام عليه السلام في كل نادٍ ومحفل، ومنتدى ومجمع، حتى كان يوم الغدير ـ وهو قبل وفاته ﷺ بسبعين يوماً ـ فأمر المسلمين جميعاً أن يبايعوه بأمرة المسلمين واستأذن حسّان بن ثابت الرسول ﷺ أن يقول في ذلك، فأذِن له فقال:

يناديهمُ يوم الغدير نبيّهم ... بخم وأسمع بالرسول مناديا
فقال: فمن مولاكمُ ونبيكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبيّنا ... ولم تلق منّا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنتُ مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه ... وكن للذي عادا علياً معادياً[1]

***

(١) الغدير: ٢/ ٣٤ عن ستةٍ وعشرين مصدراً.

مكسر الأصنام

كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام السابق إلى الإسلام، فلم يعبد غير الله عزّ وجلّ، ولم يسجد لصنم أو وثن قط، بينما غيره يعبدون الأصنام ويقدّسونها...

ولم يكتف الإمام سلام الله عليه بذلك بل أراد أن يمحو الشرك بالله على وجه هذه البسيطة، ويكسّر أصنام المشركين، حتى لا يُعبد غير الله، وليجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة المشركين هي السفلى...

وعندما فتح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مكة، تمّت للإمام هذه المكرمة العظيمة:

قال عليه السلام: انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأصنام، فقال: اجلس، فجلستُ إلى جنب الكعبة، ثم صعد رسول الله على منكبي، ثم قال لي: انهض بي إلى الصنم، فنهضتُ به،

فلما رأى ضعفي عنه قال: اجلس فجلست وأنزلته عني، وجلس لي رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال لي: اصعد يا علي، فصعدت على منكبه، ثم نهض بي رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما نهض بي خُيّل لي أني لو شئت نلت السماء، وصعدت على الكعبة، وتنحّى رسول الله صلى الله عليه وآله فألقيت صنمهم الأكبر ـ صنم قريش ـ وكان من نحاس مُؤتدّاً بأوتاد من حديد إلى الأرض[1].

ومكسّرُ الأصنام لم يسجد لها ... متعفّراً فوق الثرى متذلّلا
لكنْ له سجدت مخافة بأسه ... لما علا كتف النبي عُليّ علا

***

(١) البرهان في تفسير القرآن: ٢/ ٤٤١.

رد الشمس

وهذه كرامة له صلوات الله وسلامه عليه لم تحصل لأحدٍ من قبله إلاّ ليوشع بن نون ـ وصي نبي الله موسى عليه السلام ...

ذكر هذه الكرامة الكثير من علماء الفريقين، وأفردها بعضهم بكتابٍ مستقل، وذكرها أيضاً مئات الشعراء في قصائدهم...

فعن أسماء بنت عميس قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُوحى إليه ورأسه في حجر علي، فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس، فقال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: صلّيت يا علي؟! قال: لا، فقال صلى الله عليه وآله: «أللهم إنّ علياً كان على طاعتك، وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس» فرأيتها غربت

ثم رأيتها طلعت بعدما غربت[١].

ورُدّت له الشمس مرّة أُخرى بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

فعن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: لما رجع علي عليه السلام من قتال أهل النهروان وصل إلى أعمال العراق، ولم يكن يبقى يومئذٍ بيت ببغداد فلما وصل ناحية براثا صلّى بالناس الظهر ودخل أوائل أرض بابل وقد وجبت صلاة العصر، فصاح المسلمون: يا أمير المؤمنين وجبت صلاة العصر وقد دخل وقتها، فعند ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الناس هذه أرض قد خسف الله بها ثلاث مرات وعليه تمام الرابعة فلا يحلّ لنبي ولا لوصي نبي أن يصلّي فيها لأنها أرض مسخوط عليها... وجعل يحرّك شفتيه بكلام يشبه كلام الخطاطيف لم يُفهم وإذا بالشمس قد رجعت بصرير عظيم حتى وقفت في مركزها من العصر فقام علي عليه السلام وكبّر وصلّى العصر..[٢].

(١) المناقب لابن المغازلي: ٩٦.
(٢) رد الشمس للطريحي: ٣٩.

وقد أجاد السيد الحميري في نظمه هذه الفضيلة:

خير البريّة بعد أحمد من له ... مني الولا وإلى بنيه تطرّبي
رُدت عليه الشمس لما فاته ... وقتُ الصلاة وقد دنت للمغرب
حتى تبلّج نورها في وقتها ... للعصر ثم هوت هوي الكوكب
وعليه قد حُبست ببابل مرّة ... أخرى ولم تحبس لخلقٍ مغرِب

***

زواجه عليه السلام

ذكر المؤالف والمخالف أنّ زواج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من الصدّيقة الزهراء عليها السلام كان بأمرٍ من الله سبحانه وتعالى، وقد جرت مراسيم الزواج في السماء قبل الأرض.

وروى المحب الطبريّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أتاني ملك فقال: يا محمد إن الله تعالى يقرأ عليك السلام، ويقول له: أني زوّجت ابنتك من علي بن أبي طالب في الملأ الأعلى فزوّجه منها في الأرض[1].

وقال عبد الحميد بن أبي الحديد: وإن انكاحه علياً إياها

(١) ذخائر العقبى: ٣٢.

ما كان إلاّ بعد أن أنكحه الله تعالى في السماء بشهادة الملائكة[1].

وقال الرسول الأعظم ﷺ: إنّ الله زوّج فاطمة عند شجرة طوبى، وحضر تزويجها الملائكة، وأمر الله شجرة طوبى: لتنثرين ما عليك من الثمار، فنثرت الدُّر والياقوت والزبرجد الأخضر، وابتدر الحور العين يلتقطن، فهن يتهادين ويتفاخرن به إلى اليوم القيامة، ويقلن: هذا من نثار فاطمة بنت محمد رسول الله عليها السلام.

وعقدالنبي ﷺ حفلاً لإعلان الزواج، فعن أنس، قال: دعاني النبي ﷺ بعد أيام ـ من خطبة أبي بكر وعمر لها ـ فقال: ادع أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن، وعدة من الأنصار، فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم وكان علي غائباً فقال ﷺ: الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرهوب من عذابه وسطواته، النافذ أمره في سمائه وأرضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميّزهم بأحكامه، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيّه محمد، إن الله تبارك

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

اسمه، وتعالت عظمته، جعل المصاهرة سبباً لاحقاً، وأمراً مفترضاً، أوشج به الأرحام، وألزم الأنام، فقال عزّ من قائل: ﴿**وهو الذي خلق من الماء فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً**﴾ فأمر الله تعالى يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب ﴿**يمحو الله ما يشاء وعنده أم الكتاب**﴾ ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوّج فاطمة من علي بن أبي طالب، فاشهدوا إني قد زوّجته على أربعمائة مثقال فضة وإن رضي بذلك علي[1]...

نصب الجليل لجبريل منبراً ... من ظل طوبى من متون زبرجد
شهد الملائكة الكرام وربهم ... وكفى بهم وبربهم من شهّد
وتناثرت طوبى عليهم لؤلؤاً ... وزمراً متتابعاً لم يعقد[2]

***

(١) ينابيع المودة: ١/ ١٧٢.
(٢) من قصيدة للسيد الحميري.

بعد وفاة الرسول الأعظم (ص)

وهذا الموضوع يدعو إلى العجب، بل هو أعجب ما في الدنيا.

إن المسلمين بايعوا الإمام عليه السلام بغدير خم قبل وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بسبعين يوماً، وبعد وفاته، وقبل أن يفرغوا من تجهيزه ودفنه بايعوا أبا بكر، وأرسلوا للإمام عليه السلام يطلبون منه البيعة.

امتنع عليه السلام عن إجابتهم كما امتنع عن ذلك عظماء المهاجرين والأنصار، كسلمان المحمدي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد، وعمّار بن ياسر، والعباس بن عبد المطلب، وسعد بن عبادة الخزرجي، وقيس بن سعد بن عبادة، وحذيفة بن اليمان، وغيرهم كثير.

لهذا قرّر هؤلاء الهجوم على دار الإمام عليه السلام، وجاؤا بالحطب لاحراق داره عليه السلام، وقيل لهم: إنّ في البيت فاطمة؟! قالوا: وإن!!.

وإلى هذا يشير حافظ إبراهيم ـ شاعر النيل:

وقولة لعلي قالها عمر ... أكرم بسامعها أنعم بملقيها
حرّقت دارك لا أبقي عليك ... بها ان لم تبايع وبنت المصطفى فيها

أخرجوا الإمام عليه السلام من داره، وجاؤا به إلى المسجد، وطلبوا منه البيعة وهدَّد بعضهم الامام عليه السلام بالقتل فقال عليه السلام: إذاً تقتلون عبداً لله وأخاً لرسوله!.

فقالوا: أما عبد الله فنعم، وأما أخا رسوله فلا!.

وخرجت الزهراء عليها السلام وراء الإمام خوفاً عليه من أن يقتله القوم، فخلوا عنه!!.

عاد الإمام عليه السلام إلى بيته، معرضاً عن دنياهم وانصرف إلى تهذيب المسلمين وتعليمهم، وحتى الحاكمين فكان يفيض عليهم ما يستغلق عليهم فهمه، والمخرج منه، حتى

روى الخاص والعام قول عمر بن الخطاب: «لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن علي» وقوله: «لولا علي لهلك عمر»[1].

* * *

(١) أسد الغابة: ٤/ ٢٢٠.

سيرته عليه السلام

عقيدتنا في أهل البيت عليهم السلام، أنهم الصفوة المختارة من البشر، اختارهم الله ليكونوا حجةً على العالمين، وورثةً للرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، تؤخذ عنهم الأحكام، فهم الأدلاء على توحيد الله، والدعاة إلى الإسلام وشريعته السمحاء... لهذا كانوا القمة في الأخلاق والسيرة... نستعرض في هذا الفصل مختصراً من سيرة الإمام عليه السلام:

قال صعصعة بن صوحان: كان فينا كأحدنا: لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد[1].

عن صالح ـ بيّاع الأكسيّة ـ قال: لقيت أمير المؤمنين علياً عليه السلام ومعه تمر يحمله، فقلت له: أعطني يا أمير

(١) أعيان الشيعة: ١/ ٣٦٠.

المؤمنين هذا التمر أحمله عنك إلى بيتك. فقال: ذو العيال أحق بحمله، فما أعطاني، فانطلق إلى منزله، فدخل به البيت، ثم رجع بتلك الشملة، وفيها قشور، فصلّى بالناس الجمعة[1].

ومرّ الإمام عليه السلام بالسوق، فإذا هو بجارية تبكي، فقال: يا جارية ما يبكيكِ؟ فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً، فأتيتهم به، فلم يرضوه، فلما أتيته أبى أن يقبله، قال: يا عبد الله إنها خادم وليس لها أمر، فاردد إليها درهمها، وخذ التمر، فقام إليه الرجل فلكزه[2] فقال الناس: هذا أمير المؤمنين، فاضطرب الرجل، واصفرّ، وردّ إليها درهمها، ثم قال: يا أمير المؤمنين ارض عني! فقال: إذا وفيت الناس حقوقهم[3].

ورجع عليه السلام إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول: إنّ زوجي ظلمني وأخافني، وتعدّى عليّ، وحلف

(١) ينابيع المودة: ١/ ١٤٥.
(٢) أي ضربه بجمع كفه.
(٣) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١١٢.

ليضربني، فقال الإمام عليه السلام: يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار، ثم أذهب معك إن شاء الله. فقالت: يشتدّ غضبه عليّ، فطأطأ الإمام عليه السلام رأسه ثم رفعه وهو يقول: لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع، أين منزلك؟ فمضى إلى بابه، فقال: السلام عليكم، فخرج شاب، فقال الإمام: يا عبد الله اتقِ الله فإنك قد أخفتها وأخرجتها، فقال الفتى: وما أنت وذاك والله لأحرقنّها لكلامك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: آمرك بالمعروف، وأنهاك عن المنكر، تستقبلني بالمنكر، وتنكر المعروف، قال: فأقبل الناس من الطرق ويقولون السلام عليكم يا أمير المؤمنين، فأُسقط الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين أقلني عثرتي، فوالله لأكونن لها أرضاً تطأني! فأغمد الإمام سيفه، وقال: يا أمة الله أدخلي منزلك، ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: أنّ علياً عليه السلام صاحَبَ رجلاً ذميّاً، فقال له الذمي: أين تريد يا عبد الله؟! قال: أُريد الكوفة، فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه علي، فقال له

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١٠٦.

المؤمنين هذا التمر أحمله عنك إلى بيتك. فقال: ذو العيال أحق بحمله، فما أعطاني، فانطلق إلى منزله، فدخل به البيت، ثم رجع بتلك الشملة، وفيها قشور، فصلّى بالناس الجمعة[1].

ومرّ الإمام عليه السلام بالسوق، فإذا هو بجارية تبكي، فقال: يا جارية ما يبكيكِ؟ فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً، فأتيتهم به، فلم يرضوه، فلما أتيته أبى أن يقبله، قال: يا عبد الله إنها خادم وليس لها أمر، فاردد إليها درهمها، وخذ التمر، فقام إليه الرجل فلكزه[2] فقال الناس: هذا أمير المؤمنين، فاضطرب الرجل، واصفرّ، وردّ إليها درهمها، ثم قال: يا أمير المؤمنين ارض عني! فقال: إذا وفيت الناس حقوقهم[3].

ورجع عليه السلام إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول: إنّ زوجي ظلمني وأخافني، وتعدّى عليّ، وحلف

(١) ينابيع المودة: ١/ ١٤٥.
(٢) أي ضربه بجمع كفه.
(٣) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١١٢.

ليضربني، فقال الإمام عليه السلام: يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار، ثم أذهب معك إن شاء الله. فقالت: يشتدّ غضبه عليّ، فطأطأ الإمام عليه السلام رأسه ثم رفعه وهو يقول: لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع، أين منزلك؟ فمضى إلى بابه، فقال: السلام عليكم، فخرج شاب، فقال الإمام: يا عبد الله اتقِ الله فإنك قد أخفتها وأخرجتها، فقال الفتى: وما أنت وذاك والله لأحرقنّها لكلامك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: آمرك بالمعروف، وأنهاك عن المنكر، تستقبلني بالمنكر، وتنكر المعروف، قال: فأقبل الناس من الطرق ويقولون السلام عليكم يا أمير المؤمنين، فأُسقط الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين أقلني عثرتي، فوالله لأكونن لها أرضاً تطأني! فأغمد الإمام سيفه، وقال: يا أمة الله أدخلي منزلك، ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: أنّ علياً عليه السلام صاحَبَ رجلاً ذميّاً، فقال له الذمي: أين تريد يا عبد الله؟! قال: أُريد الكوفة، فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه علي، فقال له

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١٠٦.

الذمي: ألستَ زعمت تريد الكوفة؟ قال: بلى، فقال له الذمي: فقد تركت الطريق! فقال: قد علمت، فقال له: فِلمَ عَدلت معي وقد علمت ذلك؟ فقال له الإمام عليه السلام: هذا من تمام حسن الصحبة أنّ يشيّع الرجل صاحبه هنيئةً إذا فارقه، وكذلك أمرنا نبيُّنا، فقال: هكذا؟ قال: نعم. فقال له الذمي: لا جَرَم إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، وأنا أُشهدك أني على دينك، فرجع الذمي مع الإمام عليه السلام فلما عرفه أسلم[1].

وانظر إلى ما يرويه العلاّمة محمد باقر المجلسي رحمه الله: وأنه عليه السلام: ما فُرش له فراش في ليلٍ قط، ولا أكل طعاماً في هجير قط[2].

وعندما يقسم بيت المال على المسلمين لم يكن يأخذ لنفسه شيئاً إذ انّ «خير القول ما صدّقه العمل» كان مصداقاً لهذه الحكمة.

* * *

(١) الإمام علي للهمداني: ٤٤٧.
(٢) بحار الأنوار: ٤١/ ٢٣.

عبادته عليه السلام

أما عبادة الإمام علي عليه السلام فهي مضرب الأمثال، فهو أعبد أهل زمانه على الإطلاق... ويكفي في هذا المجال أن تتأمل كلمة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فيه: «ضربة علي لعمرو بن عبد ودّ يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين إلى يوم القيامة».

فأي عبادة أعظم من هذه العبادة؟! وحياة الإمام عليه السلام كلها عبادة، وحركاته كلها طاعة.

والحديث عن صلاته وأوراده: فناهيك برجل كان أوّل من صلّى مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كما يصفه المؤرّخون طويل الركوع والسجود كثير الخضوع والتذلل فيهما.

قال عليه السلام : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الناس سبع سنين، وأنا أوّل من صلى معه[1].

وأيضاً كان سلام الله عليه يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة[2].

ويقول ابن أبي الحديد: وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير، فيصلي عليه ورده والسهام تقع بين يديه، وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته، وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده، وإذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمّنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزته، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أي قلبٍ خرجت وعلى أي لسان جرت[3].

(١) تذكرة الخواص: ٦٣.
(٢) الغدير: ٥/ ٢٥.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٩.

وإذا تأملت ما ذكره ابن شهر آشوب أدركت بعض أجواء الإمام العبادية، ومبلغ خوفه من ربه جلّ جلاله قال: كان عليه السلام : إذا حضره وقت الصلاة تلوّن وتزلزل، فقيل له: مالك؟! فيقول: جاء وقت أمانة الله عرضها الله تعالى على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها، وحملها الإنسان[1].

وكان مولانا زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، ويدعو بصحيفة أمير المؤمنين عليه السلام ، ثمّ يرمي بها كالمتضجّر، ويقول: «أنّى لي بعبادة علي»[2].

* * *

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٢٠٠.
(٢) ينابيع المودة ١٥٠.

تواضعه عليه السلام

حاز أئمتنا عليهم السلام كل الفضائل والمكارم، فلم تبق أي فضيلة إلاّ كانوا عليهم السلام السابقين لها، والعاملين بها...

نذكر هنا نماذج عن تواضع الإمام عليه السلام:

ذُكر أنّ رجلاً وابنه وردا على أمير المؤمنين عليه السلام فقام إليهما، وأجلسهما في صدر مجلسه، وجلس بين أيديهما...، ثم أمر بطعام فأُحضر، فأكلا منه، ثم جاء قنبر بطشتٍ وإبريق خشب ليصب على يد الرجل فأخذه الإمام ليصبّ على يده، فتمرّغ الرجل في التراب، فقال: يا أمير المؤمنين كيف يراني الله وأنت تصب على يدي؟ قال: اقعد واغسل، فإن الله يراني أخوك الذي لا يتميّز منك، ولا ينفصل عنك يخدمك، ويزيد في ذلك خَدَمه في الجنة مثل عشرة

أضعاف عدد أهل الدنيا، وعلى حساب ذلك في مماليكه فيها.

فقعد الرجل وغسل يده، فلما فرغ ناول الإبريق محمداً بن الحنفيّة وقال: يا بُني لو كان هذا الابن حضرني دون أبيه لصببتُ على يده، ولكن الله يأبى أن يسوّي بين ابن وأبيه إذا جمعهما قد صبّ الأب على الأب، فليصب الابن على الابن[1].

ـ كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يجلس جلسة العبد ويأكل أكلة العبد[2].

ـ كان الإمام عليه السلام يحمل التمر والملح بيده، ويقول:

لا ينقص الكامل من كماله ... ما جرّ من نفعٍ إلى عياله

وعن زادان إنّه كان يمشي في الأسواق وحده، وهو ذاك يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمرّ بالبيّاع والبقال، فيفتح عليه القرآن ويقرأ: ﴿**وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا**

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١٠٥.
(٢) ينابيع المودة: ١/ ١٤٥.

يريدون عُلواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[1][2].

وإن الإمام عليه السلام كان يمشي في خمسة حافياً ويعلّق نعله بيده اليسرى: يوم الفطر والنحر والجمعة وعند العيادة وتشييع الجنازة ويقول: إنها مواضع الله وأحب أن أكون فيها حافياً[3].

* * *

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.
(٢) الإمام علي للهمداني: ص ٤٤٦.
(٣) القلب السليم: ٢٦٩.

حلمه وعفوه عليه السلام

الأئمة عليهم السلام شمسٌ تبعث الضياء، وقمرٌ ينير الدروب، ونجومٌ مضيئة في الليالي الظلماء، فجديرٌ بنا نحن المسلمين أن نقتدي بهم... وكان عليه السلام أحلم الناس عن مذنب، وأصفحهم عن مسيء، ... وبين يديك نماذج قليلة من حلم وعفو الإمام عليه السلام:

دعا عليه السلام غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج، فوجده على باب البيت. فقال: ما حَمَلَك على ترك إجابتي؟! قال: كسلت عن إجابتك، وأمنت عقوبتك! فقال عليه السلام: الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه، إمضِ، فأنت حرٌّ لوجه الله[1].

وكان موقفه من أهل البصرة معلوم، فقد عفا عنهم لما

(١) بحار الأنوار: ٤٨/٤١.

ملكهم، وأمر أصحابه بالكف عنهم، وعن أموالهم، ونادى مناديه: من ألقى سلاحه فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن... وشمل عفوه حتى رؤساء القوم وقادة العسكر، فقد عفا عن عائشة وجهّزها بأحسن ما يكون إلى المدينة[1].

وحين ظفر بألدّ أعدائه، الذين كانوا يتحينون الفرص للتخلص منه بكل وسائل الغدر... كعبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص فقد عفا عنهم، وأحسن إليهم، وأبى على أنصاره أن يتعقبوهم بسوء؟!...

وعن أبي جعفر عليه السلام: كان الإمام علي عليه السلام إذا أخذ أسيراً في حروب الشام، أخذ سلاحه، ودابته واستحلفه أن لا يعين عليه وتركه.

وعندما ظفر بعمرو بن العاص، وهو لا يقل خطراً عليه من معاوية، أعرض عنه، وتركه ينجو نفسه، عندما سقط عن ظهر جواده، كاشفاً عن سوأته؟!.

وأيضاً جاءه أبو هريرة ـ وكان يتكلّم فيه ـ وسأله حوائجه

(١) أئمتنا: ١/ ٤٠.

فقضاها، فعاتبه أصحابه على ذلك، فقال: إني لأستحي أن يغلب جهله علمي، وذنبه عفوي، ومسألته جودي[1].

* * *

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١١٤.

شجاعته عليه السلام

من المعيب أن يتحدث إنسانٌ عن شجاعة الإمام علي عليه السلام، فقد ملأ حديث شجاعته الخافقين وحتى ذوي الذين قتلهم كانوا يفتخرون بذلك:

قالت أخت عمرو بن عبد ودّ العامري:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به ... وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وملوك الروم مع كفرهم كانوا يرسمون صورته على سيوفهم تفاؤلاً بالنصر...

يا هازم الأحزاب لا يثنيه عن ... خوض الحمام مدججٌ ومدَرَّعُ
يا قالع الباب الذي عن هزها ... عجزت أكف أربعون وأربعُ

وأنت يكفيك من حديث شجاعته، ضربته يوم الخندق لعمرو بن عبد ودّ التي ثمّنها رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّها تعدل عبادة الثقلين... وإن مواقفه الأخرى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله لا

تقل عن هذا الموقف... فقد قتل الإمام عليه السلام فرسان العرب، وصناديد قريش، عندما أصرّوا على كفرهم، وقاتلوا المسلمين، فكان الإمام يدفع بسيفه المشركين، وينازلهم، ويجندل أبطالهم...

وقتل الإمام عليه السلام يوم بدر خمسة وثلاثين من المشركين... وقتل يوم خيبر مرحباً ـ قائد اليهود ـ وانهزموا إثر ذلك شر هزيمة... وإن تنسى فلا تنس موقفه المشرّف يوم حُنين وقد انهزم المسلمون..... لكنه عليه السلام ثبت يدافع عن النبي صلى الله عليه وآله ثم تمكّن من قتل أبي جرول ـ حامل راية المشركين ـ فانكسروا عندها، وكسب المسلمون الحرب وتمّ النصر على يديه...

ويوم أُحد قتل عليه السلام أصحاب الألوية حتى سقط لواء الكفر والشرك وانهزم بعدها المشركون شر هزيمة[1]....

(١) هذا ما أجمع عليه أهل التاريخ وإن ما حدث من انكسار المسلمين كان سببه هجوم خالد بن الوليد المفاجيء مع فرسان قريش من الثغرة التي في الجبل وكان رسول الله (ص) وضع فيها خمسين رجلاً، ولكنهم مع الأسف تركوا مراكزهم اعتقاداً منهم أنّ الحرب قد كسبها المسلمون ولا حاجة لبقائهم في مراكزهم... =

وفي ذلك الموقف المشرّف نادى جبرائيل عليه السلام : لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي.

وكان الإمام عليه السلام حامل لواء رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته وحروبه... وله في جميعها القدح المعلى والسهم الأكبر:

بني الدين فاستقام ولولا ضرب ماضيك ما استقام البناءُ

وإن الدين قد تشيّدت أركانه بسيف عليّ عليه السلام .

* * *

زهده عليه السلام

الزهد هو ترك المباح تقرباً إلى الله تعالى، ورغبة فيما عنده، وهو شعار الأنبياء والصالحين... وأمير المؤمنين عليه السلام بلغ فيه الغاية، بل منه تعلّم الناس الزهد، وعلى نهجه سار أولياء الله طلباً لمرضاته جل جلاله...

نستعرض في هذه الصفحات شذرات ذهبية من ذلك:

عن سويد بن غفلة قال: دخلتُ على علي عليه السلام يوماً وليس في داره سوى حصير رثٍ وهو جالس عليه، فقلت: يا أمير المؤمنين أنت ملك المسلمين، والحاكم عليهم وعلى بيت المال، وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا الحصير؟! قال: يا سويد إن اللبيب لا يتأثث في دار النقلة،

وأمامنا دار المقامة وقد نقلنا إليها متاعنا، ونحن منقلبون إليها عن قريب.

قال: فأبكاني والله كلامه[1].

وشوهد عليه إزار خلق مرقوع، فقيل له في ذلك، فقال: يخشع له القلب، وتذل به النفس، ويقتدي به المؤمنون[2] ولقد قال سلام الله عليه أكثر من مرّة: لقد رقّعت مدرعتي هذه حتى استحييتُ من راقعها! ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها عنك؟ فقلت: اغرب عني! فعند الصباح يُحمد القوم السرى[3].

وكان عليه السلام يذهب مع غلامه إلى السوق فيشتري قميصين، ويقول لغلامه: اختر أيهما شئت؟! فيأخذ غلامه قميصاً، ويأخذ الإمام الآخر فيلبسه، وإذا وجد فيه طولاً قطعه بشفرة[4].

(١) تذكرة الخواص: ٨٩.
(٢) نهج البلاغة: ٣/ ٤٥.
(٣) الإمام علي نبراس ومتراس: ٣٩٤.
(٤) أسد الغابة: ٤/ ٢٤.

ولم يكن طعامه بأحسن من لباسه، فقد كان يطحن لنفسه الشعير، ليأكل منه خبزاً يابساً، يستعين على كسره بركبتيه أحياناً؟! هذا ما يرويه سويد بن غفلة فيقول: دخلت على علي بن أبي طالب القصر، فوجدته جالساً وبين يديه صفيحة فيها لبن خاثر، أجد ريحه من شدة حموضته، وفي يده رغيف أرى قشار الشعير في وجهه، وهو يكسّره بيده أحياناً، فإذا غَلَبه كسره بركبتيه وطرحه فيه[1].

وأيضاً يقول عبد الله بن أبي رافع: دخلتُ عليه يوم عيد، فقدّم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً، فقُدّم فأكل. فقلت: يا أمير المؤمنين فكيف تختمه؟.

فقال عليه السلام: خفتُ هذين الولدين أن يلتاه بسمن أو زيت[2].

وتحدّث جماعة عند عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي عن الزهّاد، وتساءلوا عن أزهد الناس، فعدّ بعض الحاضرين

(١) كشف الغمة: ١/ ٨٩.
(٢) شرح نهج البلاغة: ١/ ٩.

أشخاصاً من جملتهم أبو ذر، فقال عمر بن عبد العزيز: «أزهد الناس علي بن أبي طالب».

وفي كثير من الأحيان كان يأتي إلى الصلاة ويخطب بالناس ولا زال رداؤه الوحيد يقطر ماءً وهو على بدنه[1].

* * *

(١) المعيار والموازنة: ٢٤٠ ط بيروت، تحقيق المحمودي.

عدله عليه السلام

وهذا باب واسع جداً، والحديث عنه يستوعب المجلدات. ولقد تحدث عن عدل الإمام عليه السلام القريب والبعيد، والعدو والصديق، وحتى استهوى الحديث عنه الأديب الكبير «جورج جرداق» فأخرج موسوعته القيّمة (علي صوت العدالة الإنسانية)...

وماذا يقول القائل في عدل خليفة، يجد في مال جاءه من أصبهان، رغيفاً فيقسّمه سبعة أجزاء كما قسّم المال، ويجعل على كل جزء جزءاً[1].

وكذلك فبعد بيعته بالمدينة، يقسّم بيت المال، فيعطي

(١) أعيان الشيعة: ١/ ٣٣١.

سهل بن حُنيف (وهو من أبرز شخصيات الإسلام، ومن أحب الناس إلى الإمام عليه السلام) بالمقدار الذي يعطيه لعبدٍ كان لسهل أعتقه بالأمس....

إن عدل الإمام عليه السلام جعل البعض من مشيخة المهاجرين والأنصار يغضبون على الإمام عليه السلام، ولكنه صلوات الله عليه لم يعبأ بالخلق كلهم ما دام عمله في رضا الخالق جلّ جلاله:

صلّى الإله على روحٍ تضمنها ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

***

علمه عليه السلام

علم أئمتنا عليهم السلام علم ربّاني، وإلهام إلٰهي، علم ورثوه عن خاتم الأنبياء جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله سبحانه وتعالى...

وأنت عزيزي القارىء لو تقرأ سطوراً من نهج البلاغة أو الصحيفة السجادية لوجدت صحة ما أقول...

ووُصف نهج البلاغة بأنه: فوق كلام المخلوق، ودون كلام الخالق.

قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»[1].

وقال صلى الله عليه وآله: «أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي

(١) المناقب لابن المغازلي ٨١.

طالب»[1].

وكان يقول سلام الله عليه: «علّمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب»[2].

وهو القائل: «سلوني قبل أن تفقدوني»: أي أن المسؤول عالم وعارفٌ بكل المعارف والعلوم، ومحيط بجميعها، لقد تحدّى الإمام عليه السلام العلماء في زمانه، وطلب منهم سؤاله عن أبواب العلم والمعرفة، وكرّر عليهم «سلوني قبل أن تفقدوني». لم يجرؤ بالتفوّه بهذه الكلمة غيره، ولم يقل أحد بمقالته، وقد جرّب بعضهم ذلك، فسئلوا ولم يتمكنوا من الاجابة فيسقط ما في أيديهم، وانهزموا من ساحة المواجهة خائبين... ويقول ابن المسيّب: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله يقولها إلاّ علي بن أبي طالب.

وتذكر المصادر التاريخيّة أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان يختلي به الساعات الطوال يفتح قلبه على مفاهيم الرسالة، وأسرار الوحي، ويعدّه إعداداً روحياً ليكون الخليفة من بعده،

(١) الغدير: ٣/ ٩٦.
(٢) فرائد السمطين: ١/ ١٠١.

والقائم بأموره بعد وفاته... وبقي الإمام عليه السلام المفزع للمهمات، يرجع إليه أولياء الأمور عندما يعجزون عن حلّ ما يرد عليهم من مسائل لا يهتدون إلى جوابها، ومشاكل لا يعلمون وجه الخلاص منها... فهو باجماع المسلمين أعلم هذه الأمة بكتاب الله وسنّة رسوله، لا يختلف في ذلك اثنان...

حتى قال عمر بن الخطاب: لولا علي لهلك عمر[1].

وقال أيضاً: لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب[2].

وقال أيضاً: أعوذ بالله من معضلةٍ ليس لها أبو الحسن علي[3].

وقال عثمان بن عفان: لولا علي لهلك عثمان.

وقال معاوية بن أبي سفيان: لقد كرهت رجلاً كان رسول الله يغرّه العلم غرّاً[4].

(١) فضائل الإمام علي للشيخ مغنيّة: ١٦١.
(٢) أسد الغابة: ٤/ ٢٢٠.
(٣) الأئمة الاثنا عشر لابن طولون: ٥٦.
(٤) أهل بيت رسول الله (ص): ٩٩.

وقال أيضاً لما بلغه قتله: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب[1].

وقيل لابن عباس ـ وهو حبر الأمة ـ: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

وقال عبد الله بن مسعود: أعلم هذه الأمة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب.

* * *

(١) الاستيعاب: ٣/ ٤٥.

سخاؤه عليه السلام

أهل البيت عليهم السلام حازوا المكارم والفضائل كلها؛ فمن إيمان إلى شجاعة إلى تواضع... إلى غير ذلك من الصفات الحميدة.... والسخاء من شيمة آل البيت عليهم السلام...

إذ ماذا يقول القائل في سخاء الإمام عليه السلام: وهو الذي يقدّم طعام افطاره لمسكين ويطوي ليلته، ويقدّمه في الليلة الثانية ليتيم ويمسي طاوياً، وفي الليلة الثالثة يقدّمه لأسير... حتى أنزل الله فيه وفي آله عليهم السلام: ﴿**ويطعمون الطعام على حُبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً. إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً**﴾[1] وهو الذي كان عنده أربعة

(١) سورة الإنسان، الآية: ٩.

دراهم، لا يملك غيرها فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً وبدرهم علانية. فأنزل الله تعالى فيه: **﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار، سراً وعلانيةً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾**[1][2].

وعن أبي الطفيل قال: رأيت علياً عليه السلام يدعو اليتامى فيطعمهم العسل، حتى قال بعض أصحابه: لوددتُ أني كنت يتيماً[3] وهو الذي أعتق ألف مملوكٍ من كد يده وهو الذي قال مرّة: من يشتري سيفي الفلاني؟ ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته. قال: وكان يفعل هذا وغلّته أربعون ألف دينار من صدقته[4] واستدرج سخاء الإمام (سلام الله عليه) على عدّوه اللدود «معاوية بن أبي سفيان» حتى قال فيه: وهو الذي لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن، لأنفذ تبره قبل تبنه[5].

وكان عليه السلام يعمّر بيده الشريفة حديقةً، يتصدّق بها،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.
(٢) كشف الغمة: ١/ ٢١٠.
(٣) بحار الأنوار: ٤١/ ٢٩.
(٤) سفينة البحار: ١/ ٦٠٨.
(٥) سفينة البحار: ١/ ٦٠٨.

ولم يخلّف ديناراً ولا درهماً[1].

ويقول أسود بن قيس: «كان علي عليه السلام يُطعم الناس بالكوفة الخبز واللحم، وكان له طعام على حدة. فقال قائل من الناس: لو نظرنا إلى طعام أمير المؤمنين ما هو؟ فأشرفوا وكان ذلك طعامه، وكانت العجوة تُحمل إليه من المدينة». *

* *

(١) كشف اليقين للحلي: ١٠٦.

أدعيته عليه السلام

الدعاء هو توجه المخلوق الضعيف نحو الخالق العظيم، وهو من مختصات أهل البيت عليهم السلام، لم يشاركهم فيه غيرهم، فهم الذين علّموا المسلمين على اللهجة التي يتكلم بها العبد مع مولاه، ويقول الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل: ولم يكن أحد أقدر على هذه الصناعة ـ صناعة الدعاء ـ من أهل البيت[1].

وأدعية أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة، جمع بعضها الشريف الرضي في نهج البلاغة، وأفردها بكتاب مستقل «عبد الله بن صالح السماهيجي» وسمّاه الصحيفة العلوية المباركة، وفي كتب السير أدعية أخرى كثيرة، نذكر

(١) جعفر بن محمد لسيد الأهل: ٨٤.

بعضاً من ذلك:

من دعاء له عليه السلام في طلب المغفرة:

«أللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلاّ أنت، بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، إني سائلٌ فقير، وخائفٌ مستجير، وتائبٌ مستغفرٌ، أللهم صلّ على محمد وآل محمد، واغفر لي ذنوبي كلها، قديمها وحديثها، وكل ذنب أذنبته، أللهم لا تجهد بلائي، ولا تشمت بي أعدائي، فإنه لا دافع ولا مانع إلاّ أنت»[1].

ومن دعاء له علّمه للحُسين عليه السلام:

«أللهم إني أحمدك على كل نعمة، وأشكرك على كل خير، وأستغفرك من كل ذنب، وأسألك من كل خير، وأستعيذ بك من كلّ بلاء، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم».

ومن دعاء له عليه السلام:

«أللهم طهّر لساني من الكذب، وقلبي من النفاق،

(١) الصحيفة العلوية المباركة: ١٢٤.

وعملي من الرياء، وبصري من الخيانة، فإنّك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور».

ومن دعاءٍ له عليه السلام:

«يا عماد من لا عماد له ويا ذخر من لا ذخر له ويا سند من لا سند له، ويا حرز من لا حرز له، ويا غياث من لا غياث له، ويا كنز من لا كنز له، ويا عزَّ من لا عزَّ له، يا كريم العفو، يا حسن التجاوز، يا عون الضعفاء، يا كنز الفقراء، يا عظيم الرجاء، يا منقذ الغرقى يا منجي الهلكى، يا محسنُ، يا مجملُ، يا منعم، يا مفضلُ، أنت الذي سجد لك سواد الليل ونور النهار وضوء القمر وشعاع الشمس وحفيف الشجر ودوي الماء يا الله يا الله يا الله، لا إله إلاّ أنت وحدك لا شريك لك يا رباه يا الله صلّ على محمد وآل محمد وافعل بنا ما أنت أهله»[1].

* * *

(١) أربح التجارات في الأدعية والزيارات: ٦١.

حكمه عليه السلام في طبيعة البشر

قال أمير المؤمنين:

١ ـ النَّاس أعداء ما جهلوا.

٢ ـ إذا كان في رجل خلة ذائعة فانتظروا أخواتها.

٣ ـ إذا كثرت المقدرة قلَّت الشهوة.

٤ ـ في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال.

٥ ـ كلُّ جنس يميل إلى جنسه.

٦ ـ كلُّ امرىءٍ يميل إلى مثله.

٧ ـ ضرورات الأحوال تذلّ رقاب الرجال.

٨ ـ أصدق المقال ما نطق به لسانُ الحال.

٩ ـ أبلغ الشَّكوى ما نطق به ظاهر البلوى.

* * *

حكمه عليه السلام

في آداب الكلام والصمت

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

١ ـ لا تحدّث النَّاس كلمّا تسمع، فكفى بذلك خرقاً.

٢ ـ لا تسيء اللفظ وإن ضاق عليك الجواب.

٣ ـ لا خير في الصمت عن الحكم، كما أنه لا خير في القول بالجهل.

٤ ـ تكلموا تعرفوا، فإن المرء مخبوء تحت لسانه.

٥ ـ لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كلَّ ما تعلم.

٦ ـ إذا تمَّ العقل نقص الكلام.

٧ ـ اللسان سبع، إن خلّي عنه عقر.

٨ ـ قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه.

٩ ـ لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه.

١٠ ـ الخرس خير من الكذب.

١١ ـ للكلام آفات.

١٢ ـ كثرة الهذر تملّ الجليس وتهين الرئيس.

١٣ ـ الخرس خير من العي.

١٤ ـ الهذر عار.

١٥ ـ ينبيء عن عقل كلّ امرىءٍ لسانه.

١٦ ـ يستدل على عقل الرجل بحسن مقاله.

حكمه عليه السلام في ذم الدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

١ ـ الدنيا خلقت لغيرها، ولم تخلق لنفسها.

٢ ـ من هوان الدنيا على الله أنَّه لا يعصى إلاَّ فيها، ولا ينال من عنده إلاَّ بتركها.

٣ ـ مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة.

٤ ـ الدنيا تذل.

٥ ـ الدنيا سوق الخسران.

٦ ـ الدنيا دار الأشقياء.

٧ ـ الدنيا مليئة بالمصائب، طارقة بالفجائع والنوائب.

٨ ـ يسير الدنيا يفسد الدين.

٩ ـ الدنيا تُسلِم.

١٠ ـ لا ينفع الإيمان للآخرة مع الرغبة في الدنيا.

١١ ـ الفرح بالدنيا حمق.

١٢ ـ الدنيا فانية.

١٣ ـ لا تعصم الدنيا من التجأ إليها.

١٤ ـ الدنيا صفقة مغبون والإنسان مغبون بها.

١٥ ـ يسير الدنيا يكفي، وكثيرها يردي.

١٦ ـ الدنيا مطلَّقة الأكياس.

* * *

حكمه عليه السلام

في الغنى والفقر والمال

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

١ ـ الغنى والفقر بعد العرض على الله.

٢ ـ الفقر الموت الأكبر.

٣ ـ أشرف الغنى ترك المنى.

٤ ـ ربّ فقيرٍ أغنى من كلّ غني.

٥ ـ أغنى الغنى القناعة.

٦ ـ لا غنى مع سوء تدبير.

٧ ـ المال سلوة الوارث.

٨ ـ الغنى يسوِّد غير السيّد.

٩ ـ نال الغنى من رضي بالقضاء.

١٠ ـ لا فقر مع حسن تدبير.

١١ ـ ما افتقر من ملك فهماً.

١٢ ـ لا يكرم المرء نفسه حتّى يهين ماله.

١٣ ـ من توكّل على الله غني عن عباده.

١٤ ـ لا فخر في المال إلاّ مع الجود.

١٥ ـ لم يرزق المال من لم يُنفقه.

١٦ ـ لا ينال الرزق بالتمني.

١٧ ـ لم يكسَب مالاً من لم يُصلحه.

* * *

حكمه عليه السلام

في الدعوة إلى الآخرة

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

١ ـ اذكروا انقطاع اللَّذات وبقاء التبعات.

٢ ـ من تذكَّر بعد السَّفر استعدّ.

٣ ـ الرحيل وشيك.

٤ ـ نفس المرء خطاه إلى أجله.

٥ ـ أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام.

٦ ـ ينبغي للعاقل أن يقدم لآخرته ويعمر دار اقامته.

٧ ـ لا تفي لذة المعصية بعذاب النَّار.

٨ ـ لا بقاء الأعمار مع تعاقب الليل والنهار.

٩ ـ لا غائب أقرب من الموت.

١٠ ـ الدنيا معبرة الآخرة.

١١ ـ الاغترار بالعاجلة خرق.

١٢ ـ العمر أنفاس معددة.

١٣ ـ لا شيء أصدق من الأجل.

١٤ ـ نال المنى من عمل لدار البقاء.

١٥ ـ لا قادم أقرب من الموت.

١٦ ـ الدُّنيا دار ممر والآخرة دار مقر.

١٧ ـ ما أقرب الحيَّ من الميت للحاقه به.

* * *

حكمه عليه السلام

في الصفات الذميمة والنهي عنها

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

١ ـ الغيبة جهد العاجز .

٢ ـ ما مزح امرؤٌ مزحةً إلاّ مجَّ من عقله مجَّة .

٣ ـ من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها .

٤ ـ من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا .

٥ ـ من صارع الحقَّ صرعه .

٦ ـ من ضنَّ بعرضه فليدع المراء .

٧ ـ أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله .

٨ ـ اتقوا معاصي الله في الخلوات، فإن الشاهد هو الحاكم .

٩ ـ ما زنى غيور قط .

١٠ ـ الطامع في وثاق الذل .

١١ ـ الخلاف يهدم الرأي .

١٢ ـ عجب المرء بنفسه أحد حسَّاد عقله .

١٣ ـ الاعجاب يمنع من الازدياد .

١٤ ـ هلك امرؤٌ لم يعرف قدره .

١٥ ـ الطمع رقّ مؤبد .

١٦ ـ من ترك قول لا أدري أصيبت مقاتله .

١٧ ـ من أطال الأمل أساء العمل .

* * *

حكمه عليه السلام

حول العلم والعلماء والعقل والعقلاء

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

١ ـ ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلّموا، حتّى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا.

٢ ـ العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع.

٣ ـ إذا أرذل الله عبداً، حظر عليه العلم.

٤ ـ قطع العلم عذر المتعلّلين.

٥ ـ كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلاّ وعاء العلم فإنه يتسع به.

٦ ـ ربَّ عالم قد قتله جهله، وعلمه معه لا ينفعه.

٧ ـ العلم ينجد.

٨ ـ الحكمة ترشد.

٩ ـ العلم زين الحسب.

١٠ ـ ذهاب العقل بين الهوى والشهوة.

١١ ـ ثمة الفكر السلامة.

١٢ ـ بالعقل صلاح البرية.

١٣ ـ العلم وراثة كريمة، ونعمة عميمة.

١٤ ـ العاقل من تغمّد الذنوب بالغفران.

١٥ ـ العلم أجلُّ بضاعة.

* * *

وصيته للحسين عليه السلام

وهذا الموضوع يمكن أن يُؤلف فيه أكثر من كتاب، وأنت لو نظرت إلى نهج البلاغة لرأيت الكثير من ذلك، ويكفي منها وصيته الكبيرة لابنه الإمام الحسن عليه السلام وقد تضمّنت جميع ما يحتاجه المسلم من الآداب والأخلاق والسُّنن، وله عليه السلام وصايا أخرى لم تُذكر في النهج لا تقل شأناً عمّا ذُكر فيه، نذكر من ذلك وصيته صلوات الله عليه لولده الإمام الحُسين عليه السلام :

يا بُني: ما شر بعده الجنة بشر، ولا خيرٍ بعده النار بخير، وكل نعيمٍ دون الجنة محضور، وكل بلاء دون النار عافية.

اعلم يا بُني: إنّ من أبصر عيب نفسه شُغل عن غيره، ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته، ومن سلّ سيف البغي قُتل به، ومن حفر لأخيه حفرة وقع فيها، ومن هتك

حجاب غيره، انكشفت عورات بيته على الناس، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن كابد الأمور عطب، ومن اقتحم البحر غرق، ومن أُعجب برأيه ضلَّ، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذُل، ومن سفه عليهم شُتم، ومن دخل مداخل السوء أُتهم، ومن خالط الأنذال حُقر، ومن جالس العلماء وقر.

يا بُني: اعجاب المرء بنفسه دليلٌ على ضعف عقله، كفى أدباً لنفسك ما كرهته من غيرك، وإنّ لأخيك عليك مثل الذي لك عليه[1].

(١) تحف العقول: ٦٤.

حكمه عليه السلام

وهذا بابٌ طويل، وبحرٌ عميق، لا تحتويه كتب، ولا تستوعبه مجلدات، جمع الشريف الرضي منها، . . . وأضاف إليها ابن أبي الحديد. . . . وبقي العلماء يفتشون بطون الكتب يستخرجون هذه الكنوز واللآلىء، ففاز السيد عبد الواحد الآمدي بالنصيب الأوفر، بما جمع منها في كتابه القيّم (غرر الحكم ودرر الكلم) ورغم كثرة ما وصل إلينا من هذا الحكم فإن كل كلمة منها تتضمن درساً عظيماً في الأخلاق والمعارف. . .

قال عليه السلام :

ـ الغيبة جهد العاجز.

ـ أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله.

ـ العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى.

ـ إضاعة الفرصة غُصة.

ـ أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة.

ـ لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه.

ـ التودد نصف العقل.

ـ الهم نصف الهرم.

ـ الغنى الأكبر اليأس عمّا في أيدي الناس.

ـ أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه.

ـ الناس أعداء ما جهلوا.

ـ الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، فمن لا صبر له، لا إيمان له.

ـ الكريم يلين إذا استعطِف، واللئيم يقسو إذا أُلطف.

ـ ما حار من استخار، ولا ندم من استشار.

ـ حقُّ الله في العسر الرضا والصبر، وحقه في اليسر الحمد والشكر.

ـ لا عيش لحسود، ولا مودة لملوك، ولا مروة لكذوب.

ـ ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد[1].

ـ أقل ما يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه.

ـ اتقوا معاصي الله في الخلوات، فإن الشاهد هو الحاكم[2].

* * *

(١) تحف العقول: ١٥٢.

(٢) تذكرة الخواص: ١٢٦.

كلامه عليه السلام

وأحسن ما وُصف به كلام الإمام عليه السلام: أنه دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق، ومن عهده عليه السلام وحتى اليوم والعلماء ـ على اختلاف طوائفهم ونحلِهم ـ يتدارسونه، ويشرحونه ولقد وصلت شروحه إلى أكثر من مائتين وخمسين شرحاً.

وأنت عزيزي القارىء خذ هذا النموذج القليل منه للعمل والتطبيق، فإنّه الدواء الناجح لأمراضنا الاجتماعية:

ومن كلام له عليه السلام كان يوصي به أصحابه: **تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقرّبوا بها، فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سُئلوا: ﴿ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك**

من المصلين﴾. وإنها لتحت الذنوب حتّ الورق، وتطلقها إطلاق الربق[1]، وشبّهها رسول الله ﷺ بالحمة تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرّات، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن؟! وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع، ولا قرة عين من ولد ولا مال...

ومن كلام له عليه السلام:

أيُّها الناس: إنّما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، وأخرجوا من الدُّنيا قلوبكم، من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها أُختُبرتم، ولغيرها خُلقتم، إنّ المرء إذا هلك قال الناس: ما ترك؟! وقالت الملائكة: ما قدّم؟ لله آباؤكم فقدّموا بعضاً يكن لكم، ولا تُخلّفوا كُلاً[2] فيكون عليكم.

ومن كلام له عليه السلام: أيها الناس! لا تستوحشوا في طريق

(١) جمع ربقة: الحلقة يشدّ بها الحيوان، والمراد أنها تفك المسلم من وثاق الذنوب.
(٢) كلا: وبالاً.

الهدى لقلة أهله، فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير، وجوعها طويل!.

أيها الناس، إنما يجمع الناس الرضا والسخط، وإنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا فقال سبحانه: ﴿فعقروها فأصبحوا نادمين﴾ فما كان إلاّ أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الأرض الخوارة أيها الناس، من سلك الطريق الواضح وَرَد الماء، ومن خالف وقع في التيه.

* * *

قضاؤه عليه السلام

وهذا باب واسع تضيق به الموسوعات فضلاً عن الصفحات، وإن كتباً كثيرة أُلفت في ذلك، فضلاً عما تناثر في كتب السيرة والتاريخ والتراجم، فمن الكتب التي بين أيدينا: قضاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للتستري، وقضاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للشفائي وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين، وهي مطبوعة متداولة وغيرها كثير جداً.

نسجّل في هذه الصفحات شذرات من ذلك:

رُوي أن امرأتين تنازعتا في عهد عمر على طفل ادّعته كل واحدة منهما بغير بينة، ولم ينازعهما فيه غيرهما، فالتبس الحكم في ذلك على عمر وفزع[1] فيه إلى أمير المؤمنين،

(١) فزع: استغاث ولجأ.

فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوّفهما فأقامتا على التنازع، فقال: إئتوني بمنشار. فقال عمر: ما تصنع به؟ فقال: أقدّه نصفين لكل واحدة منهما النصف، فسكتت إحداهما، وقالت الأخرى: الله الله يا أبا الحسن إن كان لا بدّ من ذلك فقد سمحت به لها. فقال: الله أكبر هذا ابنك دونها ولو كان ابنها لَرَقّت عليه وأشفقت. فاعترفت الأخرى بأن الولد لصاحبتها[1].

وأتي عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلّقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة فألقت صفرتها وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها، ثم جاءت إلى عمر صارخة فقالت: إن هذا الرجل غلبني على نفسي، وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله.

فسأل عمر النساء، فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المني، فهمّ بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: تثبت في أمري فوالله ما أتيت فاحشة، وما هممت بها، فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت. فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في

(١) الإرشاد: ١١٠.

أمرها؟ فنظر الإمام إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان وشمَّه وذاقه فعرف طعمه، وزجر المرأة فاعترفت[1].

وأيضاً أنه أُتي لعمر بن الخطاب بحامل قد زنت، فأمر برجمها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هب أن لك سبيلاً عليها، أي سبيل لك على ما في بطنها؟! والله تعالى يقول: ﴿ألا تزروا وازرة وزر أُخرى﴾[2].

فقال عمر: لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن، ثم قال: ما أصنع بها؟ قال: احتط عليها حتى تلد، فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله، فأقم عليها الحد، فسري ذلك عن عمر وعوّل في الحكم به على أمير المؤمنين عليه السلام[3].

ومما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إنّ رجلاً أقبل على عهد علي عليه السلام من الجبل حاجّاً ومعه غلام له،

(١) قضاء الإمام أمير المؤمنين (ع) للشفائي: ١٧.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣٨.
(٣) خصائص أمير المؤمنين للسيد الرضي: ٥٧.

فأذنب فضربه مولاه، فقال: ما أنت مولاي، بل أنا مولاك. قال: فما زال ذا يتوعّد ذا وذا يتوّعد ذا ويقول كما أنت حتى نأتي الكوفة يا عدوّ الله فأذهب بك إلى أمير المؤمنين. فلما أتيا الكوفة أتيا أمير المؤمنين عليه السلام، فقال الذي ضرب الغلام: أصلحك الله هذا غلام لي وأنه أذنب فضربته فوثب عليَّ، وقال الآخر: هو والله غلام لي إنّ أبي أرسلني معه ليعينني وأنه وثب عليَّ يدعيني ليذهبَ.

فأخذ هذا يحلف وهذا يحلف، وهذا يكذب هذا وهذا يكذب هذا، قال: فقال: انطلقا فتصادقا في ليلتكما هذه ولا تجيئاني إلاّ بحقّ. قال: فلما أصبح أمير المؤمنين عليه السلام قال لقنبر: اثقب في الحائط ثقبين ـ قال وكان إذا أصبح عقّب حتى تصير الشمس على رمح ـ فجاء الرجلان واجتمع الناس فقالوا: لقد وردت عليه قضية ما ورد عليه مثلها لا يخرج منها. فقال لهما: ما تقولان؟ فحلف هذا إن هذا عبده وحلف هذا إن هذا عبده، فقال لهما: قوما فإني لست أراكما تصدقان، ثم قال لأحدهما: ادخل رأسك في هذا الثقب، ثمّ قال للآخر: ادخل رأسك في هذا الثقب. ثمّ قال: يا قنبر

عليَّ بسيف رسول الله ﷺ عجّل اضرب رقبة العبد منهما. قال: فأخرج الغلام رأسه مبادراً، ومكث الآخر في الثقب. فقال علي عليه السلام للغلام: ألست تزعم أنك لست بعبد؟ فقال: بلى ولكن ضربني وتعدّى عليَّ، فتوثق له أمير المؤمنين عليه السلام ودفعه إليه[1].

* * *

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ص ٩٧.

قضاؤه
في عهد رسول الله (ص)

قضاؤه في جارية هلكت:

١ ـ رفع إليه خبر جارية حملت جارية على عاتقها عبثاً أو لعباً فجاءت جارية أخرى الحاملة لقرصتها فوقعت الراكبة فاندقت عنقها وهلكت فقضى عليه السلام على القارصة بثلث الدية وعلى القامصة بثلثها وأسقط الثلث الباقي بقموص الراكبة لركوب الواقعة عبثاً القامصة. وبلغ الخبر بذلك إلى رسول الله ﷺ فأمضاه وشهد له بالصواب[1].

(١) قضاء أمير المؤمنين للشيخ التستري: ١١.

قضاؤه في جماعة افترسهم الأسد:

٢ ـ عن إبراهيم بن هاشم عن النوفلي عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بعث النبي صلى الله عليه وآله علياً إلى اليمن وإذا زبية قد وقع فيها الأسد، فأصبح الناس ينظرون إليه ويتزاحمون ويتدافعون حول الزبية، فسقط رجل في الزبية، وتعلّق بالذي يليه، وتعلّق الآخر بالآخر، حتى وقع فيها أربعة، فجرحهم الأسد، وتناول رجل الأسد بحربة فقتله، فأخرج القوم موتى، فانطلقت القبائل إلى قبيلة الرجل الأول الذي سقط وتعلّق فوقه ثلاثة، فقالوا لهم: أدّوا ديّة الثلاثة الذين أهلكهم صاحبكم، فلولا هو ما سقطوا في الزبية، فقال أهل الأول: إنما تعلّق صاحبنا بواحد فنحن نؤدّي ديته واختلفوا حتى أرادوا القتال، فصرخ رجل منهم أمير المؤمنين عليه السلام وهو منهم غير بعيد، فأتاهم ولامهم، وأظهر موجدةً. وقال لهم: لا تقتلوا أنفسكم ورسول الله حي، وأنا بين أظهركم، فإنكم تقتلون أكثر مما تختلفون فيه، فلما سمعوا ذلك منه استقاموا، فقال: إني قاضٍ فيكم قضاء فإن

رضيتموه فهو نافذ، وإلاّ فهو حاجز بينكم، من جاوزه فلا حق له حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وآله، فيكون هو أحق بالقضاء مني، فاصطلحوا على ذلك، فأمرهم أن يجمعوا دية تامة من القبائل الذين شهدوا الزبية، ونصف دية، وثلث دية، وربع دية، فأعطى أهل الأول ربع الدية من أجل أنّه هلك فوقه ثلاثة، وأعطى الذي يليه ثلث الدية من أجل أنّه هلك فوقه اثنان وأعطى الثالث النصف من أجل أنّه هلك فوقه واحد، وأعطى الرَّابع الدية تامة لأنه لم يهلك فوقه أحد، فمنهم من رضي ومنهم من كره، فقال لهم علي تمسكوا بقضائي إلى أن تأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله، فيكون القاضي فيما بينكم، فوافوا رسول الله صلى الله عليه وآله بالموقف فثاروا إليه فحدثوه حديثهم، فاحتبى ببرد عليه ثم قال: أنا أقضي بينكم إن شاء الله، فناداه رجل من القوم: إن علي بن أبي طالب قد قضى بيننا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما هو؟ فأخبروه، فقال: هو كما قضى، فرضوا بذلك[1].

(١) الارشاد: ١٠٥.

قضاؤه في قوم وقع عليهم حائط فقتلهم:

٣ ـ وقضى في قوم وقع عليهم حائط فقتلهم، وكان فيهم امرأة مملوكة، وأخرى حرّة، وللحرّة طفل، من حرّ، وللمملوكة طفل من مملوك، ولم يعرف المملوك من الحر، فقرع بينهما، وحكم بالحرية لمن خرج عليها سهمها، وبالرقيّة لمن خرج عليه سهمها ثم أعتقه، وجعل مولاه مولاه، وحكم به في ميراثهما بالحكم في الحر ومولاه، فأمضى رسول الله ﷺ هذا القضاء وصوّبه[1].

قضاؤه في فرس قتل رجلاً:

٤ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: بعث رسول الله ﷺ علياً عليه السلام إلى اليمن، فأفلت فرس لرجل من أهل اليمن، ومرّ يعدو، فمرّ برجل فنفحه برجله فقتله، فجاء أولياء المقتول إلى الرجل فأخذوه ورفعوه إلى عليّ عليه السلام، فأقام

(١) عجائب أحكام أمير المؤمنين (ع): ٣٩.

صاحب الفرس البيّنة عند علي عليه السلام أنّ فرسه أفلت من داره ونفح الرجل، فأبطل عليٌّ عليه السلام دم صاحبهم، فجاء أولياء المقتول من اليمن إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنّ علياً عليه السلام ظلمنا، وأبطل دم صاحبنا فقال رسول الله ﷺ: إنّ علياً ليس بظلاّم، ولم يخلق للظلم، إنّ الولاية لعلي عليه السلام من بعدي، والحكم حكمه، والقول قوله، ولا يرد ولايته وقوله إلاّ كافر، ولا يرضى ولايته وقوله وحكمه إلاّ مؤمن. فلما سمع اليمانيون قول رسول الله ﷺ في علي قالوا: يا رسول الله رضينا بحكم عليّ عليه السلام.

فقال رسول الله ﷺ: هو توبتكم مما قلتم[1].

قضاؤه في رجلين وقعا على جارية:

٥ ـ رفع إليه رجلان بينهما جارية يملكان رقّها على السواء، قد جهلا حظر وطيها، فوطئاها في طهر واحد، على ظن منهما جواز ذلك لقرب عهدهما بالإسلام، وقلّة معرفتهما بما تضمنته الشريعة من الأحكام، فحملت الجارية ووضعت

(١) معادن الجواهر: ٢/٢٩.

غلاماً، فاختصما إليه فيه، فقرع على الغلام باسميهما فخرجت القرعة لأحدهما، فالحق الغلام به، وألزمه نصف قيمته لأنه كان عبداً لشريكه وقال: لو علمت أنكما أقدمتما على ما فعلتماه بعد الحجّة عليكما بحظره لبالغت في عقوبتكما وبلغ رسول الله ﷺ هذه القضية فأمضاها، وأقرّ الحكم بها في الإسلام، وقال: الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داود عليه السلام، وسبيله في القضاء، يعني القضاء بالإلهام الذي هو في معنى الوحي، ونزول النص به أن لو نزل على الصريح[1].

قضاؤه على صاحب البقرة:

٦ ـ إنّ رسول الله ﷺ كان جالساً مع جماعة من أصحابه فجاء خصمان، فقال أحدهما: يا رسول الله إنّ لي حماراً وإنّ لهذا بقرة، وإنّ بقرته قتلت حماري. فبدأ رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم، فقال رسول الله ﷺ: اقض بينهما يا علي. فقال علي لهما: أكانا مرسلين أم مشدودين،

(١) الكافي: ٧/ ٣٤٨.

أم أحدهما مشدوداً والآخر مرسلاً؟ فقال: كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة، وصاحبها معها، فقال عليٌّ: على صاحب البقرة ضمان الحمار، فأقرّ رسول الله ﷺ حكمه، وأمضى قضاءه[1].

* * *

(١) الارشاد: ١٠٤.

رجوع من تقدمه في الحكم إليه

وهذا من المسلمات التي لا يختلف فيها اثنان، وهذه كتب السير والتاريخ مملوءة بذلك حتى أن الذين كتبوا في أقضيته عليه السلام فصّلوا ذلك، وعقدوا الفصول فذكروا أقضيته عليه السلام في عهد أبي بكر ثم في عهد عمر ثم في عهد عثمان.

وأزيدك علماً أن معاوية مع بعده وحربه للإمام عليه السلام كان لا يستغني عن الرجوع إليه.

قال ابن عبد البر: وكان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام. فقال له: دعني

عنك[١].

وعن سعيد بن المسيّب أنّ رجلاً من أهل الشام يقال له ابن خيبري، وجد مع امرأته رجلاً فقتله، أو قتلهما معاً، فأشكل على معاوية القضاء، فكتب إلى أبي موسى الأشعري يسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فسأل أبو موسى عن ذلك علي بن أبي طالب، فقال له علي: إنّ هذا الشيء لم يكن بأرضي، عزمت عليك لتخبرني، فقال له أبو موسى: كتب إليّ معاوية بن أبي سفيان في ذلك، فقال علي رضي الله عنه: أنا أبو حسن، إن لم يأت بأربعة شهداء فليعط برمّته[٢].

* * *

(١) الصواعق المحرقة: ١٨٩.
(٢) الاستيعاب: ٣/ ٤٥.

قضاؤه في عهد أبي بكر

كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر: أنّ رجلاً في إحدى قبائل العرب يؤتى كما يؤتى النساء، وقد انتشر هذا العمل في قوم لوط.

ولما وصل الكتاب إلى أبي بكر جمع نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ واستشارهم في الكتاب، وكان بين صحابة رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام، وكان أشدّهم قولاً يومئذٍ، فقال: هذه معصية ارتكبت في قوم لوط، وقد أنزل الله عليهم العذاب الشديد، وإنَّ حكم هذه المسألة أن يُحرق الرجل فأرسل أبو بكر الجواب: بأن يُحرق هذا الرجل[1].

* * *

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ٨/ ٥٨٥.

قضاؤه عليه السلام في عهد عمر

قضاؤه في امرأة فجرت:

١ ـ لما كان في ولاية عمر أتي بامرأة حامل، فسألها عمر فاعترفت بالفجور، فأمر بها أن ترجم، فلقيها علي بن أبي طالب فقال: ما بال هذه؟.

فقالوا: أمر بها عمر أن ترجم، فردّها علي، فقال: أمرت بها أن ترجم؟!.

فقال: نعم، اعترفت عندي بالفجور.

فقال: هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في

بطنها؟ ثم قال له: فلعلك انتهرتها أو أخفتها؟.

فقال: قد كان ذلك.

قال: أوما سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا حدّ على معترف بعد بلاء، إنه من قيّدت أو حبست أو تهدَّدت، فلا إقرار له، فخلّى عمر سبيلها ثم قال: عجزت النساء أن تلد مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر[1].

قضاؤه في رجل قتلته امرأته وخليلها:

٢ ـ عن كتاب أعلام الموقعين: رفعت إلى عمر قصة رجل قتلته امرأة أبيه وخليلها، فتردد عمر هل يقتل الكثير بالواحد، فقال له علي: لو أنّ نفراً اشتركوا في سرقة جزور، فأخذ هذا عضواً وهذا عضواً أكنت قاطعهم؟ قال: نعم، قال: فكذلك هذا، فعمل عمر على رأيه وكتب إلى عامله، أن أقتلهما، فلو اشترك أهل صنعاء كلهم فيه لقتلتهم[2].

(١) قضاء الإمام أمير المؤمنين (ع) للشفائي: ١٢.
(٢) عجائب أحكام أمير المؤمنين (ع): ٥٠.

قضاؤه في امرأة وضعت غلاماً أسود:

٣ ـ عن ابن قيم الجوزية في كتاب السياسة الشرعية: إن امرأة استنكحها رجل أسود اللون ثم ذهب في غزاة فلم يعد فوضعت غلاماً أسود فتعيرته، فبعد أن شبّ استعداها إلى عمر، فلم يجد شهادة اثبات، وكاد يتم للمرأة ما أرادت، بيد أن علياً أدرك في طرفه ما تجتهد المرأة في إخفائه، فقال: يا غلام أما ترضى أن أكون لك أباً والحسن والحسين أخويك؟ فقال: بلى، وقال لأولياء المرأة: أما ترضون أن تضعوا أمرها في يدي؟ قالوا: بلى، فقال: إني زوجت مولاتي هذه من ابني هذا على صداق قدره كذا وكذا، فأجفلت المرأة وقالت: النار يا علي، والله إنه ابني، ولكن لسواد لونه[1].

قضاؤه في امرأة استدعاها عمر فألقت حملها:

٤ ـ وروي أنه استدعى ـ أي عمر ـ امرأة تتحدّث عنها الرجال، فلما جاءها رسله فزعت وارتاعت، وخرجت معهم

(١) موسوعة الأعيان: ١/ ٤٣٧.

فأملصت، فوقع إلى الأرض ولدها يستهل ثم مات، فبلغ عمر ذلك، فجمع أصحاب رسول الله ﷺ وسألهم عن الحكم في ذلك، فقالوا بأجمعهم: نراك مؤدّباً ولم ترد إلاّ خيراً، ولا شيء عليك في ذلك، وأمير المؤمنين عليه السلام جالس لا يتكلم في ذلك، فقال له عمر: ما عندك في هذا يا أبا الحسن؟ فقال: قد سمعت ما قالوا، قال: فما تقول أنت؟.

قال: قد قال القوم ما سمعت.

قال: أقسمت عليك لتقولنّ ما عندك.

قال: إن كان القوم قاربوك فقد غشوك، وإن كانوا ارتأوا فقد قصّروا، الديّة على عاقلتك، لأنّ قتل الصبي خطأ تعلّق بك.

فقالت: أنت والله نصحتني من بينهم، والله لا تبرح حتى تجري الديّة على بني عدي، ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام[1]

(١) موسوعة الأعيان: ١/ ٤٣٩.

قضاؤه في مجنونة فجر بها:

٥ ـ وروي أنّ مجنونة على عهد عمر فجر بها رجل، فقامت البيّنة عليها بذلك، فأمر عمر بجلدها الحد، فمرّ بها عليّ أمير المؤمنين عليه السلام لتجلد فقال: ما بال مجنونة آل فلان تعتل؟ فقيل له: إنّ رجلاً فجر بها وهرب، وقامت البيّنة عليها، فأمر عمر بجلدها، فقال لهم ردّوها إليه وقولوا له: أما علمت أنّ هذه مجنونة آل فلان، وأنّ النبي ﷺ قال: رفع القلم عن ثلاثة، عن المجنون حتى يفيق، إنها مغلوبة على عقلها ونفسها، فردّت إلى عمر وقيل له ما قال أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: فرج الله عنه، لقد كدت أن أهلك في جلدها، فدرأ عنها الحد[1].

قضاؤه في امرأة ذات حمل زنت:

٦ ـ وروي أنه ـ أي عمر ـ أتي بحامل قد زنت، فأمر برجمها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هب أنّ لك سبيلاً

(١) الارشاد: ١١٠.

عليها، أي سبيل لك على ما في بطنها؟ والله تعالى يقول **﴿ولا تزروا وازرة وزر أخرى﴾**.

فقال عمر: لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن ثم قال: فما أصنع بها؟.

قال: احتط عليها حتى تلد، فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله فأقم عليها الحد، فسرى بذلك عن عمر، وعوّل الحكم به على علي أمير المؤمنين عليه السلام[1]

قضاؤه في مال للمسلمين:

٧ ـ عن القاضي نعمان، عن يزيد بن أبي خالد، بإسناده إلى طلحة بن عبيد الله قال: أتي عمر بمال فقسّمه بين المسلمين، ففضلت منه فضلة، فاستشار فيها من حضر من الصَّحابة فقالوا: خذها لنفسك، فإنك إن قسمتها لم يصب كل رجل منها إلاّ ما لا يلتفت إليه.

فقال علي: اقسمها أصابهم من ذلك ما أصابهم، فالقليل

(١) الارشاد: ١٠٩.

في ذلك والكثير سواء، ثم التفت إلى عليٍّ فقال: ويد لك مع أياد لم أجزك بها[1].

قضاؤه في عبد مقيّد:

٨ ـ عن حفص بن غالب قال: بينا رجلان جالسان في زمن عمر إذ مرّ بهما عبد مقيّد، فقال أحدهما: إن لم يكن في قيده كذا وكذا فامرأته طالق ثلاثاً، وحلف الآخر بخلاف مقاله، فسئل مولى العبد أن يحلّ قيده حتى يعرف وزنه فأبى، فارتفعا إلى عمر، فقال لهما: اعتزلا نساءكما، وبعث إلى علي وسأله عن ذلك، فدعا بإجانة، فأمر الغلام أن يجعل رجله فيها، ثم أمر أن يصب الماء حتى غمر القيد والرجل، ثم علّم في الإجانة علامة، وأمره أن يرفع قيده من رجله فنزل الماء من العلامة، فدعا بالحديد فوضعها بالإجانة حتى تراجع الماء إلى موضعه، ثم أمر أن يوزن الحديد فكان وزنه بمثل وزن القيد، وأخرج القيد فوزن فكان مثل ذلك، فعجب عمر[2].

(١) الارشاد: ١٠٩.

(٢) عجائب أحكام أمير المؤمنين (ع) ٦٥.

قضاؤه في وزن الفيل:

٩ ـ قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام : إني حلفت أن أزن الفيل.

فقال له: لِمَ تحلفون بما لا تطيقون.

فقال: قد ابتليت، فأمر عليه السلام بقرقور[١] فيه قصب، فأخرج منه قصب كثير، ثم علم صنع الماء بقدر ما عرف صنع الماء قبل أن يخرج القصب، ثم صيّر الفيل فيه حتى رجع إلى مقداره الذي كان انتهى إليه صنع الماء أولاً، ثم أمر بوزن القصب الذي أخرج، فلما وزن، قال: هذا وزن الفيل[٢].

قال الدكتور يوسف مروّة في كتابه (العلوم الطبيعية في تراث الإمام علي) ص ٥١: توضيح الحل: معلوم في الفيزياء أنّه إذا غمر جسم في سائل فإنه يخسر من وزنه مقدار وزن حجم السائل الذي حلّ محله الجسم المغمور (قاعدة ارخميدس) ذلك لأنّ الجسم المغمور يكون تحت ضغطين

(١) القرقور: السفينة الطويلة العظيمة.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢/ ٦١.

متعامدين من ذلك السائل: أحدهما من الأسفل إلى الأعلى، يعادل عموداً من ذلك السائل طوله من سطح السائل إلى نهاية الجسم المغمور، والآخر من الأعلى إلى الأسفل يعادل عموداً من السائل طوله من سطح السائل إلى سطح الجسم المغمور، فلو طرح الضغط الثاني (قوّة الدفع من الأعلى إلى الأسفل) من الضغط الأوّل (قوة الدفع من الأسفل إلى الأعلى)، لحصلنا على مقدار من القوة الدافعة من الاسفل إلى الأعلى يعادل مقداراً من السائل بحجم الجسم المغمور.....

* * *

قضاؤه في عهد عثمان

قضاؤه في امرأة ولدت لستة أشهر:

١ ـ عن كشاف الثعلبي، وأربعين الخطيب، وموطّأ مالك بأسانيدهم عن ربيعة بن بدر الجهني، أنه أتي يريد بذلك عثمان بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهمّ برجمها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إنّ الله تعالى يقول: ﴿**وحمله وفصاله ثلاثون شهراً**﴾ ثم قال: ﴿**والولدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة**﴾ فحولين مدة الرضاع وستة أشهر مدّة الحمل. فقال عثمان: ردّوها[1].

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٤١٣.

قضاؤه في ميراث امرأتين:

٢ ـ سفيان بن عيينة بإسناده عن محمد بن يحيى قال: كان لرجل امرأتان، امرأة من الأنصار، وامرأة من بني هاشم، فطلّق الأنصارية، ثم مات بعد مدة، فذكرت الأنصارية التي طلّقها أنها في عدتها، وقامت عند عثمان البيّنة بميراثها منه، فلم يدر ما يحكم به، وردّهما إلى علي عليه السلام فقال: تحلف أنها لم تحض بعد أن طلّقها ثلاث حيض وترثه، فقال عثمان للهاشمية: هذا قضاء ابن عمك قالت: قد رضيته، فلتحلف وترث، فتحرّجت الأنصارية من اليمين، وتركت الميراث[1].

قضاؤه في امرأة تزوّجت عبداً:

٣ ـ إنّ رجلاً كانت له سرّية، فأولدها، ثم اعتزلها وأنكحها عبداً له، ثم توفي فعتقت بملك ابنها، فورث زوجها ولدها، ثم توفي الابن فورثت من ولدها زوجها، فارتفعا إليه ـ يريد عثمان ـ يختصمان، تقول: هذا عبدي، ويقول هو:

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٤١٤.

هي امرأتي ولست متزوجاً عنها.

فقال: هذه مشكلة، وأمير المؤمنين عليه السلام حاضر.

فقال عليه السلام: سلوها هل جامعها بعد ميراثها له.

فقالت: لا.

فقال: لو أعلم أنّه فعل ذلك لعذبته، اذهبي فإنه عبدك، ليس له عليك سبيل، إن شئت أن تعتقيه، أو تسترقيه، أو تبيعيه، فذلك لك[1].

قضاؤه في رجل دفع إلى الوصي عشرة آلاف درهم:

أوصى رجل ودفع إلى الوصي عشرة آلاف درهم وقال: إذا أدرك ابني فأعطه ما أحببت منها، فلما أدرك استدعى عليه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: كم تحب أن تعطيه؟.

قال: ألف درهم.

قال: أعطه تسعة آلاف درهم فهي التي حببت، وخذ

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٤١٣.

الألف[1].

قضاؤه في رجل ضرب فادعى أن بصره ضعف:

وقضى عليه السلام في رجل ضرب على رأسه فادّعى أنّ بصره قد ضعف، فأقعده ثم عرض عليه بيضة فقال له: أتبصرها؟ قال: نعم، فلم يزل ينحيها عنه حتى قال: لا أبصرها، ثم حوّل الرجل عن يمينه وعرض عليه البيضة، ثم لم يزل ينحيها حتى قال: لا ابصرها، ثم علّم ذلك الموضع ثم حول وجهه إلى يساره وعرض عليه البيضة ثم لم يزل ينحيها حتى قال لا ابصرها، وعلّم ذلك الموضع، ثم حول وجهه إلى خلفه ثم عرض عليه البيضة ونحاها عنه حتى قال: لا ابصرها، وعلم ذلك الموضع، ثم قال الاربعة جوانب التي انتهي إليه بصره فاستوت، ولم تزد ولم تنقص، فقال له: صدقت في دعواك ثم دعى رجلاً في سنه واقعده بجنبه ثم عرض عليه البيضة، ونحاها عنه حتى قال: لا ابصرها حتى فعل ذلك به في الجهات الاربعة كما فعل بالاول، ثم قاس

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٤٢٣.

بين منتهى بصر المصاب وبصر الصحيح وأعطى المصاب الدية على قدر ما نقص من بصره[1].

قضاؤه في رجل خرج مع قوم في سفر فادّعوا وفاته:

وجد عليه السلام شاباً يبكي وحوله قوم يسكّتونه، وكانت قصّته: أنّ أباه خرج مع قوم في سفر فادّعوا وفاته، وأنكروا ماله، بينما كان عنده مال كثير، وقد حكم شريح القاضي لهم وبرّاهم.

فاستدعى عليه السلام الرجال، وطلب احضار شرطة الخميس، وقال لهم: تقولون ماذا؟ كأني لا أعلم بما صنعتم بوالد هذا الشاب، ثم أمر بهم ففرّق بينهم[2] وأقيم كل واحد منهم إلى اسطوانة من أساطين المسجد، كما دعا كاتبه عبد الله بن أبي رافع فقال: اكتب، ثم قال للناس، إذا كبّرت فكبّروا.

ثم دعا بأحدهم وسأله: في أي يوم خرجتم من منازلكم؟

(١) عجائب احكام أمير المؤمنين (ع): ٩٩.
(٢) قضاء الإمام أمير المؤمنين (ع) للشفائي.

وفي أي شهر؟ وفي أي سنة؟ وفي أي منزل مات والد هذا الشاب؟ وما كان مرضه، وكم كانت مدّة مرضه؟ ومن كان ممرّضه؟ وفي أي يوم مات؟ ومن كفّنه؟ وفيم كفنتموه؟ ومن صلّى عليه؟ ومن أدخله القبر؟ والرجل يجيب على الأسئلة.

ولما انتهى عليه السلام من الأسئلة كبّر، وكبّر أصحابه كلّهم، فارتاب أولئك الباقون، ولم يشكّوا في أنّ صاحبهم قد أقرّ عليهم وعلى نفسه، وأمر عليه السلام بالرجل إلى الحبس، ثم دعا بآخر فقال له: كلاّ زعمت أنّي لا أعلم ما صنعتم بوالد هذا الشاب؟.

فقال الرجل: ما أنا إلاّ كواحد منهم، كنت كارهاً لقتله.

ولمّا أقرّ الرجل، جعل عليه السلام يدعو الباقين واحداً فواحداً وقد أقرّوا جميعاً، ثم دعا الذي أمر به إلى الحبس فأقرّ كذلك، فألزمهم المال والدم[1].

(١) ثبت علمياً أنه (ع) هو أول من فرّق بين المتهمين كي لا يتواطأوا على الكذب، وهو أول من دوّن شهادات الشهود، واعترافات المتهمين.

قضاؤه في ظئر أخذت ولداً ترضعه:

وقضى عليه السلام في ظئر[1] أخذت ولداً لقوم ترضعه، فدفعته إلى امرأة أخرى فلا يُدرى ما صنعت به قال: على الظئر الأولى الديّة، لأنّها أخرجته إلى غيرها فضمنت[2].

قضاؤه في الدين:

قال الإمام الصادق عليه السلام: كان علي عليه السلام يجيز في الدين شهادة رجل ويمين المدعي[3].

قضاؤه في قوم حدّادين اشتروا باباً:

وقضى بالبصرة لقوم حدّادين اشتروا باب حديد من قوم فقال أصحاب الباب: كذا وكذا منّاً، فصدّقوهم وابتاعوه، فلما حملوا الباب على أعناقهم قالوا للمشتري ما فيه ما ذكروه

(١) الظئر: المرضعة.
(٢) عجائب أحكام أمير المؤمنين (ع): ٩٧.
(٣) الكافي: ٧/ ٣٨٢.

من الوزن، فسألوهم الحطيطة فأبوا، فارتجعوا عليهم، فصاروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: أدلّكم، احملوه إلى الماء، فحمل فطرح في زورق صغير، وعلّم على الموضع الذي بلغه الماء، ثم قال: ارجعوا مكانه تمراً موزوناً، فما زالوا يطرحون شيئاً بعد شيء موزوناً حتى بلغ الغاية، قال: كم طرحتم، قالوا: كذا وكذا منّا ورطلاً، قال عليه السلام: وزنه هذا[1].

قضاؤه في رجلين جلسا يتغدّيان:

عن زر بن حبيش قال: جلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فلما وضعا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم فقالا: اجلس للغداء، فجلس وأكل معهما واستوفوا من أكلهم الأرغفة الثمانية فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم وقال: خذا هذا عوضاً مما أكلت لكما، ونلت من طعامكما، فتنازعا، وقال صاحب الخمسة الأرغفة لي خمسة دراهم ولك ثلاثة فقال صاحب الثلاثة

(١) بحار الأنوار: ٤٠/ ٢٨٧.

الأرغفة: لا أرضى إلاّ أن تكون الدراهم بينا نصفين، وارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقصّا عليه قصتها فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة: قد عرض عليك صاحبك ما عرض، وخيره أكثر من خيرك، فارضَ بالثلاثة، فقال: لا والله لا رضيت إلاّ بمر الحق.

فقال علي رضي الله عنه: ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد، وله سبعة.

فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين هو يعرض عليّ ثلاثة فلم أرض، وأشرت عليّ بأخذها فلم أرض وتقول لي الآن إنه لا يجب في مر الحق إلاّ درهم واحد؟!.

فقال له علي: عرض عليك صاحبك أن تأخذ الثلاثة صلحاً فقلت: لم أرض إلاّ بمر الحق، ولا يجب لك بمر الحق إلاّ واحد فقال الرجل: فعرفني بالوجه من مر الحق حتى أقبله. فقال علي رضي الله عنه: أليس للثمانية أرغفة أربعة وعشرين ثلثاً، أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يُعلَم الأكثر منكم أكلاً ولا الأقل، فتحملون في أكلكم على السواء؟.

قال: بلى. قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث وإنما لك

تسعة أثلاث، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثاً، أكل منها ثمانية ويبقى له سبعة، وأكل لك واحدة من تسعة فلك واحد بواحدك، وله سبعة بسبعة[1].

* * *

(١) قضاء الامام علي (ع) لعلي محمد علي دخيل: ص ٩٢.

أجوبته عليه السلام

كانت ترد على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أسئلة محرجة، فكان صلوات الله عليه يجيبهم بأسرع ما يكون، وأيضاً كانت ترد عليه أسئلة من كبار علماء اليهود والنصارى، ويعجز المسلمون عن الإجابة عنها فكان عليه السلام يبيّن لهم الجواب والحل، وعندها يعترف هؤلاء العلماء بعجزهم، ويسلمون على يديه، لما رأوا من أجوبته من دلائل الإمامة، وعلائم الوصيّة، نذكر بعضها في هذا الفصل:

إنّ يهودياً سأل الإمام عليه السلام فقال: أخبرني عمّا ليس لله، وعما ليس عند الله، وعما لا يعلمه الله؟.

فقال عليه السلام: أمّا ما لا يعلمه الله عزّ وجلّ فذلك قولكم معشر اليهود: إن عزيزاً ابن الله، والله لا يعلم له ولداً، وأما قولك ما ليس لله، فليس لله شريك، وقولك: ما ليس عند الله، فليس عند الله ظلمٌ للعباد.

فقال اليهودي: وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله[١].

وسأله كعب الأحبار: أخبرني يا أبا الحسن عمن لا أب له، وعمن لا عشيرة له، وعمن لا قبلة له؟.

فقال عليه السلام: أما من لا أب له فعيسى، وأما من لا عشيرة له فآدم، وأما من لا قبلة له فهو البيت الحرام هو قبلة ولا قبلة له، هات يا كعب!.

فقال: أخبرني عن ثلاثة أشياء لم تركض في رحم، ولم تخرج من بدن؟.

فقال عليه السلام: هي عصا موسى، وناقة ثمود، وكبش إبراهيم، هات يا كعب!.

قال: يا أبا الحسن بقيت خصلة فإذا أنت أخبرتني بها فأنت أنت.

قال: هلمها يا كعب.

قال: قبر سار بصاحبه؟.

(١) التوحيد: ٣٧٧.

فقال عليه السلام: ذلك يونس بن متى إذ سجنه الله في بطن الحوت[1].

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: جئتك من سبعين فرسخاً، لأسألك عن سبع كلمات، فقال: سل ما شئت؟ فقال الرجل: أي شيء أعظم من السماء؟ وأي شيء أوسع من الأرض؟ وأي شيء أضعف من اليتيم؟ وأي شيء أحر من النار؟ وأي شيء أبرد من الزمهرير؟ وأي شيء أغنى من البحر؟ وأي شيء أقسى من الحجر؟!.

فقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: البهتان على البريء أعظم من السماء، والحق أوسع من الأرض، ونمائم الوشاة أضعف من اليتيم، والحرص أحر من النار، وحاجتك إلى البخيل أبرد من الزمهرير، والبدن القانع أغنى من البحر، وقلب الكافر أقسى من الحجر[2].

وسأل كتابيان أبا بكر: ما الفرق بين الحبّ والبغضّ ومعدنهما واحد، وما الفرق بين الحفظ والنسيان ومعدنهما

(١) قضاء الإمام أمير المؤمنين للشفائي: ص ٨٩.
(٢) سفينة البحار: ج ١ ص ٥٨٧.

واحد، وما الفرق بين الرؤيا الصادقة والرؤيا الكاذبة ومعدنهما واحد؟!.

قال: لا. قالا: دلنا على من هو أعلم منك فإنك لست بالرجل الذي نجد صفته في التوراة أنه وصيُّ هذا النبي وخليفته. فتغيَّظ من قولهما وهمّ بهما، ثمّ أرشدهما إلى عمر وذلك أنه عرف من عمر أنهما إن استقبلاه بشيء بطش بهما.

فلما أتياه قالا: ما قرابتك من هذا النبي؟ قال: أنا من عشريته وهو زوج ابنتي حفصة، قالا: هل غير هذا؟ قال: لا. قالا: ليست هذه بقرابة، وليست هذه الصفة التي نجدها في التوراة ثمّ قالا: فأين ربك؟ قال: فوق سبع سماوات. قالا: فهل غير هذا؟ قال: لا. قالا: دُلّنا على من هو أعلم منك، فأرشدهم إلى علي عليه السلام.

فلما جاءاه فنظرا إليه قال أحدهما لصاحبه: إنّه الرجل الذي نجد صفته في التوراة، أنه وصي هذا النبي وخليفته وزوج ابنته وأبو السبطين والقائم بالحقّ من بعده. ثم قالا: أيها الرجل ما قرابتك من رسول الله؟ قال: هو أخي وأنا وارثه وزوج ابنته فاطمة. قالا له: هذه القرابة الفاخرة والمنزلة

القريبة، وهذه الصفة التي نجدها في التوراة، ثمّ قالا له: فأين ربّك عزّ وجلّ؟ قال عليه السلام لهما: إن شئتما أنبأتكما بالذي كان على عهد موسى نبيكما، وأن شئتما أنبأتكما بالذي كان على عهد نبينا محمد قالا: أنبئنا بالذي كان على عهد نبينا موسى. قال: أقبل أربعة أملاك: مَلَكٌ من المشرق، ومَلَكٌ من المغرب، ومَلَكٌ من السماء، ومَلَكٌ من الأرض. فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب: من أين أقبلت؟ قال: من عند ربي. وقال صاحب المغرب لصاحب المشرق: من أين أقبلت؟ قال: من عند ربّي. وقال الخارج من الأرض للنازل من السماء: من أين أقبلت؟ قال: من عند ربّي. فهذا ما كان على عهد نبيّكما موسى.

وأمّا ما كان على عهد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فذلك قوله تعالى في محكم كتابه **﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾**.

ثم قالا: فما منع صاحباك أن يكونا جعلاك في موضعك الذي أنت أهله، فوالذي أنزل التوراة على موسى

إنّك لأنت الخليفة حقاً نجدُ صفتك في كتبنا ونقرؤه في كنائسنا، وأنك لأحقُّ بهذا الأمر وأولى به ممن قد غلبك عليه. فقال علي عليه السلام: قدّما وأخّرا، وحسابُهما على الله عزّ وجلّ يوقفان ويُسألان[1].

إنّ الله تعالى خلق ابن آدم وجعل لقلبه غاشية، فما مرّ بالقلب والغاشية منفتحة حفظ وأحصى، وما مرّ بالقلب والغاشية منطبقة لم يحفظ ولم يحص.

ثمّ سألاه عن الرؤيا الصادقة والرؤيا الكاذبة؟ فقال عليه السلام: إن الله تعالى خلق الروح وجعل لها سلطاناً، فسلطانها النفس، فإذا نام العبد خرج الروح وبقي سلطانه فيمرّ به جيل من الملائكة وجيل من الجنّ، فما كان من الرؤيا الصادقة فمن الملائكة، وما كان من الرؤيا الكاذبة فمن الجنّ. فأسلما على يديه وقُتلا معه بصفين[2].

* * *

(١) قضاء أمير المؤمنين للتستري. ص ٩٠.
(٢) آداب النفس: ص ٢٧٨.

شعره عليه السلام

جمع العلماء عدة دواوين من شعر الإمام عليه السلام، جلّها مطبوع متداول، والمهم في ذلك أن جميع الشعر المنسوب له عليه السلام هو في الأخلاق والآداب، والدعوة إلى الله ورسوله، فهو في الواقع من السُّبل التي كان يسلكها عليه السلام لنشر الفضيلة... نذكر قليلاً من ذلك:

قال عليه السلام:

لا تخضعنّ لمخلوقٍ على طمع ... فإن ذاك مضرٌّ منك بالدين
واسترزق الله مما في خزائنه ... فإن ذلك بين الكاف والنون

وله عليه السلام:

أدّبت نفسي فلم أجد أدباً ... بغير تقوى الإله من أدب
في كل حالاتها وان قصرت ... أفضل من صمتها عن الكذب

وريبة الناس إن ريبتهم ... حرّمها ذو الجلال في الكتب
لو كان من فضة كلامك يا ... نفس لكان السكوت من ذهب[1]

وله عليه السلام في فضل العلم:

الناس من جهة التمثال أكفاء ... أبوهم آدم والأم حوّاء
فإن يكن لهم من أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والماء
لا فضل إلاّ لأهل العلم انهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

وله عليه السلام في التواضع:

ودع التجبر والتكبر يا أخي ... إن التكبر للعبيد وبيلُ
واجعل فؤادك للتواضع منزلا ... إن التواضع بالشريف جميلُ

وله عليه السلام:

دع الحرص على الدنيا ... وفي العيش فلا تطمعْ
ولا تجمع من المال ... فلا تدري لمَنْ تجمعْ
فإنّ الرزق مقسومٌ ... وسوء الظن لا ينفعْ
فقيرٌ كل من يطمع ... غنيٌّ كل من يقنعْ[2]

(١) ديوان الإمام علي ـ مؤسسة الأعلمي ـ ص ٦٣.
(٢) ديوان الإمام علي: ص ٤٨.

وله عليه السلام :

اصبر قليلاً فبعد العسر تيسيرُ ... وكلُّ أمرٍ له وقتٌ وتدبيرُ
وللمهيمن في حالاتنا نظرٌ ... وفوق تقديرنا لله تقديرُ[1]

وقال عليه السلام :

وكم ساعٍ ليثري لم ينله ... وآخر ما سعى لحق الثراء
وساع يجمع الأموال جمعاً ... ليورثها أعاديه شقاء
وما سيَّان ذو خبر بصير ... وآخر جاهل ليسا سواء
ومن يستعتب الحدثان يوماً ... يكن ذاك العتاب له عناء
ويزري بالفتى الإعدام حتى ... متى يصب المقال يقل أساء[2]

* * *

وقال عليه السلام في القدر :

إذا عقد القضاء عليك عقداً ... فليس يحدّ به إلاّ القضاء
فما لك قد أقمت بدار ذلٍّ ... وأرض الله واسعة فضاء
تبلّغ باليسير فكل شيء ... من الدنيا يكون له انقضاء[3]

* * *

(١) ديوان الإمام علي، السيّد محسن الأمين، دار المرتضى ص: ٢٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

وقال عليه السلام في القدر :

لا تطلبن معيشة بمذلّة ... واربأ بنفسك عن دني المطلب
وإذا افتقرت فداوِ فقرك بالغنى ... عن كلّ ذي دنس كجلد الأجرب
فليرجعن إليك رزقك كله ... لو كان أبعد من محل الكوكب[1]

وقال عليه السلام :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً ... يغنك محموده عن النسب
فليس يغني الحسيب نسبته ... بلا لسان له ولا أدب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي[2]

وقال عليه السلام :

تمنّى رجال أن أموت وإن أمت ... فذلك سبيل لست فيها بأوحدِ
وليس الذي يبقى خلافي يضرني ... ولا موت من قد مات قبلي بمخلدي
وإني ومن قد مات قبلي لكالذي ... يزور خليلاً أو يروح ويغتدي[3]

* * *

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب، السيد محسن الأمين، ص: ٦٦.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

وله عليه السلام :

اصبر قليلاً فبعد العسر تيسيرُ ... وكلُّ أمرٍ له وقتٌ وتدبيرُ
وللمهيمن في حالاتنا نظرٌ ... وفوق تقديرنا لله تقديرُ[1]

وقال عليه السلام :

وكم ساعٍ ليثري لم ينله ... وآخر ما سعى لحق الثراء
وساع يجمع الأموال جمعاً ... ليورثها أعاديه شقاء
وما سيَّان ذو خبر بصير ... وآخر جاهل ليسا سواء
ومن يستعتب الحدثان يوماً ... يكن ذاك العتاب له عناء
ويزري بالفتى الإعدام حتى ... متى يصب المقال يقل أساء[2]

* * *

وقال عليه السلام في القدر :

إذا عقد القضاء عليك عقداً ... فليس يحدّ به إلاّ القضاء
فما لك قد أقمت بدار ذلٍّ ... وأرض الله واسعة فضاء
تبلّغ باليسير فكل شيء ... من الدنيا يكون له انقضاء[3]

* * *

(١) ديوان الإمام علي، السيّد محسن الأمين، دار المرتضى ص: ٢٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

وقال عليه السلام في القدر :

لا تطلبن معيشة بمذلّة ... واربأ بنفسك عن دني المطلب
وإذا افتقرت فداوِ فقرك بالغنى ... عن كلّ ذي دنس كجلد الأجرب
فليرجعن إليك رزقك كله ... لو كان أبعد من محل الكوكب[1]

وقال عليه السلام :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً ... يغنك محموده عن النسب
فليس يغني الحسيب نسبته ... بلا لسان له ولا أدب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي[2]

وقال عليه السلام :

تمنّى رجال أن أموت وإن أمت ... فذلك سبيل لست فيها بأوحدِ
وليس الذي يبقى خلافي يضرني ... ولا موت من قد مات قبلي بمخلدي
وإني ومن قد مات قبلي لكالذي ... يزور خليلاً أو يروح ويغتدي[3]

* * *

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب، السيد محسن الأمين، ص: ٦٦.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

وقال عليه السلام :

الناس في زمن الإقبال كالشجرة ... وحولها الناس ما دامت بها الثمرة
حتى إذا ما عرت من حملها انصرفوا ... عنها عقوقاً وقد كانوا بها بررة
وحاولوا قطعها من بعدما شفقوا ... دهراً عليها من الأرياح والغبرة
قلّت مروءات أهل الأرض كلهم ... إلاّ الأقل فليس العشر من عشرة[1]

* * *

وقال عليه السلام :

للناس حرص على الدنيا بتدبير ... وصفوها لك ممزوج بتكدير
كمن ملحَّ عليها لا تُساعده ... وعاجز نال دنياه بتقصير
لم يرزقوها بعقلٍ حينما رزقوا ... لكنما رزقوها بالمقادير
لو كان عن قوّة أو عن مغالبةٍ ... طال البزاة بأرزاق العصافير

***

(١) المصدر نفسه.

استجابة دعائه

وموضوع استجابة الدعاء حصل لأنبياء الله ورسله عليهم السلام ، إكراماً لهم، واعلاءً لشأنهم، ألا تسمع ما يقوله القرآن الكريم في قصة نبي الله نوح عليه السلام : ﴿**ونوحاً إذ نادى من قبل، فاستجبنا له**﴾[1] وفي قصة نبي الله أيوب عليه السلام : ﴿**وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين، فاستجبنا له. فكشفنا ما به من ضر**﴾[2] وحكى الله عزّ وجلّ أيضاً في قصة يوسف عليه السلام : ﴿**فاستجاب له ربه**﴾[3] وكما جاء في قصة نبي الله يونس وزكريا عليهما السلام .

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٦.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٤.

وهذه الكرامة ـ أعني استجابة الدعاء ـ أعطاها سبحانه وتعالى لأئمة الهدى، وخلفاء الرسول الأكرم ﷺ، وأهل بيت النبوة، ومهبط الوحي، ومعدن الرسالة.

نسجل في هذه الصفحات بعض ما ورد من ذلك للإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

عن سعد الخفاف، عن زادان أبي عمرو، قال: قلت له: يا زادان إنّك لتقرأ القرآن فتُحسن قراءته، فعلى من قرأت؟ قال: فتبسّم ثم قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بي وأنا أُنشد الشعر، وكان لي خُلُق حسن، فأعجبه صوتي. فقال: زادان فهلاّ بالقرآن؟ قلت: يا أمير المؤمنين وكيف لي بالقرآن فوالله ما أقرأ منه إلاّ بقدر ما أُصلي به؟! قال: فادن، فدنوت منه، فتكلّم في أُذني بكلامٍ ما عرفته ولا علمت ما يقول، ثم قال: افتح فاك، فتفل في فيّ، فوالله ما زالت قدمي من عنده حتى حفظت القرآن بإعرابه وهمزه، وما احتجتُ أن أسأل عنه أحداً بعد موقفي ذلك[1].

(١) الإمام علي للهمداني: ٦٤٧.

وعن طلحة بن عميرة، قال: نشد الإمام علي عليه السلام الناس في قول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار وأنس بن مالك في القوم لم يشهد، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أنس، قال: لبيك! قال: ما يمنعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا، قال: يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت!!.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أللهم إن كان كاذباً فاضربه ببياض ـ أو بوضح ـ لا تواريه العمامة، قال طلحة: فأشهد بالله لقد رأيتها بيضاً بين عينيه[1].

ومن ذلك أيضاً ما رُوي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لما بلغه ما صَنَعَهُ بُسْرُ بنُ أرطأة باليمن، قال: «اللهم إنَّ ما يستوجُب به عليك رحمتك» فبقي بسر حتى اختلط، فكان يدعو بالسيف، فاتُّخِذَ له سيف من خشب، فكان يضرب به حتى يُغشى عليه، فإذا أفاق قال: السيف

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ١٦٦.

السيف، فيُدفع إليه فيضربُ به، فلم يزلْ ذلك دأبه حتّى مات»[1].

* * *

(١) الإرشاد للمفيد ١/ ٣٢٢.

محبّته عليه السلام

وردت في حقّ الإمام علي عليه السلام أحاديث جمّة عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله تأمر بمحبته ووجوب مودته، فعن أم سَلَمة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحبَّ علياً فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله[1].

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: «نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عليّ بن أبي طالب، فقال: أنت سيّدٌ في الدنيا وسيّدٌ في الآخرة، من أحبّك فقد أحبّني وحبيبي حبيب الله، وعدوّك عدوي، وعدوّي عدوّ الله، فالويل لمن أبغضك من بعدي[2].

(١) كنز العمال ٦/ ١٥٦.

(٢) تاريخ بغداد ح رقم ٤١٠٤.

والمحبّة هُنا كما ظهر من هذه الأحاديث الشريفة تعني الاتباع له، والاقتداء بسيرته، ومن أحبّ شخصاً اقتدى به وبمكارم أخلاقه، فكيف بمن يحبّ علياً، خاتم الوصيين، ويعسوب الدين، وإمام المتقين، فإنّه يسعد في حياته وبعد مماته، وقد ورد في الأحاديث عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أن الإمام علياً عليه السلام يحضر عند الدفن.

وعن جابر بن عبد الله، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالساً، إذ أقبل علي عليه السلام، فأدناه ومسح وجهه ببردته وقال: «يا أبا الحسن، ألا أبشّرك بما بشّرني به جبريل عليه السلام ؟

قال: بلى يا رسول الله، قال: إنَّ في الجنَّة عيناً يقال لها «تسنيم» يخرج منها نهران، وعلى شاطىء التسنيم أشجار من اللؤلؤ والمرجان، وحشيشها من الزعفران، على حافتيها كراسي من نور، عليها أناس جلوس مكتوبٌ على جباههم بالنور، هؤلاء المؤمنون، هؤلاء محبُّو علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

(١) مئة منقبة لابن شاذان: ٧٩.

تاه الكثيرون في حبّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وانقسموا إلى فرق، قارب بعضها إلى درجة الغلوّ المهلك، وإن الشيعة وعلى مرّ التاريخ تنبّه لضرورة الحذر والتيقظ من الغلوّ والمغالين، وتتبرّأ منهم، فالحبّ لعلي عليه السلام ينبغي أن يكون حباً للإسلام وحباً للرسالة، وتجسيداً لما ناضل من أجله الإمام علي عليه السلام.

* * *

إخباره بالمغيّبات

روى أصحاب السير عن جندب بن عبد الله الأزديّ، قال: شهدت مع عليٍّ عليه السلام الجمل وصفين لا أشكُّ في قتالِ من قاتله، حتى نزلنا النهروان، فدخلني شك وقلت: قراؤنا وخيارنا نقتلهم؟! إنّ هذا لأمرٌ عظيمٌ. فخرجت غدوة أمشي ومعي إدواة ماء حتى برزت عن الصفوف، فركزت رمحي ووضعت ترسي إليه واستترت من الشمس، فإني لجالسٌ حتى ورَدَ عليَّ أمير المؤمنين عليه السلام فقال لي: «ألا يا أخا الأزد، أمعك طهور» قلت: نعم، فناولته الإدواة، فمضى حتى لم أره، ثم أقبل وقد تطهّر فجلس في ظلّ الترس، فإذا فارسٌ يسأل عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين هذا فارس يريدُك، قال: «فأشر إليه» فأشرت إليه فجاء فقال: يا أمير المؤمنين قد عبر القوم وقد قطعوا النهر، فقال: «كلا ما عبروا» قال: بلى واللهِ

لقد فعلوا، قال: «كلا ما فعلوا» قال: فإنه لكذلك إذ جاء آخر فقال يا أمير المؤمنين قد عبر القوم، فقال: «كلا ما عبروا» قال: والله ما جئتك حتى رأيت الرايات في ذلك الجانب والأثقال، قال: «والله ما فعلوا، وأنه لمصرعهم ومهراق دمائهم» ثم نهض ونهضت معه.

فقلت في نفسي: الحمد لله الذي بصّرني هذا الرجل، وعرّفني أمره، هذا أحد رجلين: إمّا رجل كذّاب جريء أو على بينة من ربه وعهدٍ من نبيه، اللهم إني أعطيك عهداً تسألني أوّلَ من يقاتله وأول من يطعن بالرمح في عينه، وإن كانوا لم يعبروا أن أقيم على المناجزة والقتال، فدُفعنا إلى الصفوف فوجدنا الرايات والأثقال كما هي، قال: فأخذ بقفاي ودفعني ثم قال: «يا أخا الأزد أتبيّن لك الأمر؟» قلت: أجل يا أمير المؤمنين، قال: «فشأنك بعدوّك» فقتلت رجلاً، ثم قتلت آخر، ثم اختلفت أنا ورجلٌ آخر أضربه ويضربني، فوقعنا جميعاً، فاحتملني أصحابي فأفقت حين أفقت وقد فرغ القوم[1].

(١) الإرشاد للمفيد ١/ ٣١٩.

مناجاته عليه السلام

روى الشيخ الصدوق عليه الرحمة عن عروة بن الزبير أنّه قال: «كُنّا جلوساً في مجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء:

يا قوم ألا أخبركم بأقلّ القوم مالاً وأكثرهم ورعاً وأشدّهم اجتهاداً في العبادة؟.

قالوا: من؟.

قال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. قال الراوي: فوالله إن كان في جماعة أهل المجلس إلاّ معرضٌ عنه بوجهه، ثم انتدب له رجلٌ من الأنصار، فقال له:

يا عويمر، لقد تكلّمت بكلمةٍ ما وافقك عليها أحدٌ منذ

أتيت بها.

فقال أبو الدرداء: يا قوم إنّي قائلٌ ما رأيت، وليقل كل قوم منكم ما رأوا، شهدت عليّ بن أبي طالب بشويحطات النجار وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه واستتر بمفيلات النخيل، فافتقدته وبَعُدَ عليَّ مكانه، فقلت: لحق بمنزله... فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجيّ وهو يقول:

«إلٰهي كم من موبقةٍ حلمت عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرةٍ تكرّمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري وعَظُمَ في الصُّحفِ ذنبي، فما أنا مؤمّلٌ غير غفرانك ولا أنا براج غير رضوانك».

فشغلني الصوت واقتفيت الأثر، فإذا هو عليُّ بن أبي طالب عليه السلام بعينه فاستترت له وأخملتُ الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثمّ فرغ إلى الدّعاء والبكاء والبث والشكوى فكان مما ناجى الله به:

«إلٰهي أفكر في عفوك فتهون عليَّ خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليَّ بليتي».

ثمّ قال:

«آهٍ إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذٍ لا تنجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته...».

«آه من نار تنضحُ الأكباد والكلى، آهٍ من نار نزّاعة للشوى، آهٍ من غمرةٍ من لهبات لظى» قال: ثمّ أنعم (انغمر) في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر أوقظه لصلاة الفجر.

قال أبو الدرداء: فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة فحركته فلم يتحرّك، وزويته فلم ينزو فقلت: ﴿**إنّا لله وإنّا إليه راجعون**﴾ مات والله علي بن أبي طالب.. قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته، فأخبرتها الخبر، فقالت: هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله.. ثم أتوه بماءٍ فنضحوه على وجهه فأفاق، ونظر إليَّ وأنا أبكي، فقال: ممَّ بكاؤك يا أبا الدرداء؟.

فقلت: ممّا أراه تنزله بنفسك..

فقال: يا أبا الدرداء فكيف ولو رأيتني ودُعي بي إلى الحساب وأيقن أهل الجرائم بالعذاب واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبّار، قد أسلمني الأحباء ورحمني أهل الدنيا، لكنت أشدَّ رحمةً لي بين يدي من لاتخفى عليه خافية..

فقال أبو الدرداء: فوالله ما رأيته ذلك لأحدٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وليعلم القارىء الكريم إن هذه المناجاة، وهذا الخشوع، وهذه الاستكانة للمولى جلّ شأنه، إنّما هي من شدّة محبته لله، والتصاقه به، وتعظيمه للخالق عزّ وجلّ والخوف منه تعالى.

* * *

طب الإمام علي

لقد وردت عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام التعاليم والإرشادات الصحية في أنواع المداواة والمعالجات وحفظ الصحة، وجلب المنفعة، والتداوي بالفاكهة والأغذية.

قال عليه السلام: «إياكم والبطنة، فإنها مقساة للقلب، مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد».

وقال عليه السلام: «إيّاك وادمان الشبع، فإنّه يهيّج الأسقام، ويثير العلل».

وعن الأصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام للحسن عليه السلام: ألا أُعلمك أربع خصال، تستغني عن الطب؟ قال: بلى، قال: لا تجلس على الطعام إلاّ وأنت جائع، ولا تقم عن الطعام إلاّ وأنت تشتهيه، وجوّد المضغ، وإذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء، فإذا استعملت هذا استغنيت عن

الطب»[١].

لقد أكّد الطبّ الحديث ما قاله الإمام عليه السلام وأشار إلى الأمراض العديدة التي يسبّبها الإفراط والإسراف في تناول الطعام، منها: ارتفاع ضغط الدم، وتصلّب الشرايين، وعسر التنفس ومرض السكري وإلى غيرها من الامراض.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام في العنب: «العنب أدم وفاكهة وطعام وحلواء».

وقد ثبت أنّ العنب يحتوي قيمة غذائية كبيرة، وعلى قدر جيّد من السكريات، ويحتوي العنب على معظم العناصر الغذائية التي يحتاجها الجسم، وعلى كمية وافرة من الفيتامينات الذي يرفع من مناعة الجسم، ويقلل من الإصابة بالسَّرطان.

وفي الرمّان، قال الإمام علي عليه السلام: «كلوا الرمّان بشحمه، فإنّه دباغٌ للمعدة»[٢].

(١) وسائل الشيعة ٢٤/ ٢٤٥.

(٢) بحار الأنوار ٦٣/ ١٥٤.

إنّ الرمّان وصف في الطبّ الحديث بأنّه مقوٍ للقلب، يكافح الأورام في الغشاء المخاطي.

ويظهر من الحديث التالي أنّ الابتداء بالملح قبل الطعام يفيد جسم الإنسان، ويجنّبه الكثير من الأمراض، فقد قال الإمام عليه السلام: «ابدؤا بالملح في أوّل طعامكم، فلو يعلم النّاس ما في الملح لاختاروه على الترياق المجرّب».

وأشار الإمام علي عليه السلام إلى العلاقة بين البيض وما يحتويه من عناصر مؤثرة في النسل، فعن الأصبغ، عنه عليه السلام قال: «إنَّ نبياً من الأنبياء شكا إلى الله تعالى قلة النسل في أمته، فأمره أن يأمرهم بأكل البيض، ففعلوا، فكثر النسل فيهم»[1].

ومنْ أقوال الإمام الطبية في خواصّ بعض الفواكه والأطعمة:

قال عليه السلام: البطيخ شحمة الأرض لا داء ولا غائلة فيه. وكان عليه السلام يأكل البطيخ بالسكّر.

(١) وسائل الشيعة ٢٥/ ٨٠.

وقال عليه السلام: عليكم بالتفاح، فكلوه، فإنه نضوح المعدة.

وقال عليه السلام: خالفوا أصحاب المسكر، وكلوا التمر، فإن فيه شفاء من الأدواء.

وقال عليه السلام: أكل الجوز في شدّة الحرّ يُهيّج الحرّ، ويهيّج القروح في الجسد، وأكله في الشتاء يسخن الكليتين ويدفع البرد[1].

وفي زيت الزيتون، يقول الإمام عليه السلام، العارف العالم، الخبير بالجسم وحاجاته: «ادهنوا بالزّيت وائتدموا به، فإنّه دهنة الأخيار، وأدام المصطفين، مسحت بالقدس مرّتين[2]، بُوركت مقبلة وبوركت مدبرة[3]، لا يضرُّ معها داءٌ».

إنّ زيت الزيتون كما هو ثابت علمياً، وما أجمع عليه خبراء التغذية هو أفضل وأرقى وأطيب أنواع الزيوت والدهون

(١) رمز الصحة للدهسرخي ٨١١٦

(٢) أي وُصفت بالطهارة والبركة في موضعين من القرآن الكريم، في سورة النور، وفي سورة التين.

(٣) لعلّ المعنى رطبة وجافة، أو صحيحة ومعتصرة منها الدهن.

هضماً على الإطلاق، وهو أغنى أنواع الزيوت بالفيتامينات والأملاح المعدنية.

وقال عليه السلام: من أكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء من أوّل النهار دفع الله عنه كلَّ مرض وسقم.

وقال عليه السلام: أكل السّفرجل قوّة للقلب الضعيف، ويطيّب المعدة، ويذكي الفؤاد، ويشجّع الجبان، ويحسّن الولد.

وقال عليه السلام: عليكم بالهريسة، فإنها تنشّط للعبادة أربعين يوماً، وهي المائدة التي أُنزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

* * *

(١) رمز الصحة ٢١٤.

الإمام علي في يوم القيامة

روي عن ابن عبّاس، أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل «... وأخي وابن عمي وصهري علي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنّة...

وعليها قبّة من نور الله، باطنها عفو الله وظاهرها رحمة الله، بيده لواء الحمد، فلا يمرُّ بملأٍ إلاّ قالوا: «هذا مَلَكٌ مقرَّبٌ، أو نبيٌّ مرسل، أو حامل عرش رب العالمين».

فينادي منادٍ من بطنان العرش: «ليس هذا مَلَكاً مقرّباً ولا نبياً مرسلاً ولا حامل عرش ربّ العالمين، هذا عليُّ بن أبي طالب أميرُ المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجَّلين إلى جنان ربّ العالمين، أفلَحَ من صدّقه، وخاب من كذّبه...[1].

(١) تاريخ بغداد للحافظ البغدادي ١٣/ ٨١٢٢

وكذلك فإن الإمام علياً عليه السلام هو صاحب حوض رسول الله صلى الله عليه وآله فالحوض هو نهر عظيم في الآخرة وماؤه: أحلى من العسل وأطيب من اللبن، يتدفق أهل المحشر وقد أضرّ بهم العطش إلى هذا الحوض ليشربوا منه، لكن هذا الحوض هو خاص بالمؤمنين، وأنه باسم رسول الله صلى الله عليه وآله وإن الساقي على هذا الحوض هو خليفته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد وَرَدَ عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام: «أنت الذائد (الدافع) عن حوضي يوم القيامة، تذود عنه الرجال كما يذاد البعير الصادر (العطشان) عن الماء ـ بعصاً لك من عوسج[1].

وأيضاً من خصائص الإمام عليه السلام إن لواء الحمد وهو لواء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة هو بيده.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: أنا قسيم النّار، إذا كان يوم القيامة، قلت (للنار): هذا لك، وهذا لي.

وعن محمد بن منصور، قال: كُنَّا عند أحمد بن حنبل،

(١) نهاية اللغة لابن الأثير الجزري ٣/ ٩.

فقال له رجل: يا أبا عبد الله: ما تقول في هذا الحديث الذي يُروى «أن علياً قال: أنا قسيم النار»؟.

قال ابن حنبل: وما تنكرون من ذا؟ ألَسْنا روينا أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي: لا يُحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق؟!.

قلنا: بلى.

قال: فأين المؤمن؟.

قلنا: في الجنّة.

قال: وأين المنافق؟.

قلنا: في النار.

قال: فعليٌّ قسيم النار[1].

وهناك حديث آخر للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يظهر سموّ مقام الأمير سلام الله عليه في مواقف يوم القيامة، فقد قال: للإمام عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نَصَبَ الله منبراً يعلو منابر النبيين والشهداء، ثمّ يأمرني الله أن أصعد فوقه، ثمّ يأمرك الله

(١) الإمام علي للموحد ١٤٢.

أن تصعد دوني بمرقاة (درجة)، ثمّ يأمر الله مَلَكين، فيجلسان دونك بمرقاة، فإذا استقللنا على المنبر لا يبقى أحدٌ من الأوّلين والآخرين إلاّ حضر، فينادي الملك الذي دونك بمرقاة: معاشر النّاس: ألا من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه نفسي: أنا رضوان خازن الجنان، ألا انّ الله ـ بمنّه وكرمه وفضله وجلاله ـ أمرني أن أدفع مفاتيح الجنّة إلى محمد ﷺ وأن محمداً قد أمرني أن أدفعها إلى علي بن أبي طالب، فاشهدوا لي عليه. ثمّ يقوم المَلَك الذي تحت ذلك المَلَكَ بمرقاة منادياً يُسمع أهل الموقف: معاشر الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه نفسي: أنا مالك خازن النيران، ألا إنَّ الله بمنّه وكرمه وفضله وجلاله ـ قد أمرني أن أدفع مفاتيح النّار إلى محمد وأن محمداً قد أمرني أن أدفعها إلى عليّ بن أبي طالب، فاشهدوا لي عليه.

يا علي: فتأخذ مفاتيح الجنّة والنار، فتأخذ بحجزتي[1]، وأهل بيتك يأخذون بحجزتك، وشيعتك يأخذون بحُجزة أهل بيتك.

(١) الحجزة بضم الحاء: الازار، أو معقد الازار.

قال الإمام: فصفقت بكلتا يدي وقلت: وإلى الجنّة يا رسول الله؟.

قال ﷺ: إي وربّ الكعبة[1].

وكذلك من خصائص أسد الله الغالب الإمام عليّ بن أبي طالب أن جعل الله المرور على الصراط في يوم القيامة مشروطاً بحبّه والاعتقاد بإمامته وولايته، فقد قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة يقعد عليٌّ على الفردوس ـ وهو جبل قد علا في الجنّة وفوقه عرش ربّ العالمين، ومن سفحه تتفجر أنهار الجنة وتتفرّق في الجنان ـ وعليٌّ جالسٌ على كرسيٍّ من نور، يجري بين يديه التسنيم[2]، لا يجوز أحدٌ على الصراط إلاّ ومعه سند بولاية علي وولاية أهل بيته، فيُدخل محبِّيه الجنَّة، ومبغضيه النار[3].

(١) نفس المصدر ١٤٥.
(٢) التسنيم: عينٌ في الجنّة، وهوأشرف شراب في الجنة (مجمع البحرين).
(٣) ينابيع المودة ٨٦.

وعن عبدالله بن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام:

«إذا كان يوم القيامة، يُؤتى بك على نجيب من نور، على رأسك تاج يضيء يكاد نوره يخطف أبصار أهل الموقف، فيأتي النداء من عند الله جلّ جلاله: أين خليفة محمد رسول الله ﷺ؟ فتقول: ها أنا، فينادي المنادي: من أحبَّك أُدخله الجنَّة، ومن عاداك أدخله النار، فأنت قسيم الجنَّة والنار بأمر الملك الجبار»[1].

* * *

(١) مئة منقبة لابن شاذان: ٥٤.

مدائحه عليه السلام

لقد حاز الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام المكارم والفضائل كلها، بل حتى لم تبق مكرمة أو فضيلة إلاّ ونُسبت إليه، فكان رمزاً للمكارم.

وقد قال الصحابة والتابعون الشعر الكثير في الإمام عليه السلام، وقد أوردنا في هذا الفصل شعر علماء المسلمين ومراجعهم وقادة المسلمين.

قال الصاحب بن عباد[1]:

قالت: فمن صاحبُ الدين الحنيف أجب؟ فقلتُ: أحمد خير السادة الرسل
قالت: فمن بعده تصفي الولاءَ له؟ قلتُ: الوصي الذي أربى على زحل[2]
قالت: فمن بات من فوق الفراش فدى؟ فقلتُ: أثبت خلق الله في الوهل[3]

(١) الوزير، والعالم الكبير، له مجموعة مؤلّفات، وفاته سنة ٣٨٥ هـ.
(٢) أربى: زاد.
(٣) الوهل: الفزع.

قالت: فمن ذا الذي آخاها عن مقةٍ؟ فقلتُ: من حاز ردّ الشمس في الطفل[1]
قالت: فمن زوج الزهراء فاطمة؟ فقلتُ: أفضل من حاف ومنتعلِ
قالت: فمن والد السبطين إذ فرعا؟ فقلتُ: سابق أهل السبق في مهلِ
قالت: فمن فاز في بدر بمعجزها؟ فقلتُ: أضرب خلق الله في القللِ
قالت: فمن أسد الأحزاب يفرسها؟ فقلتُ: حاصد أهل الشرك في عجلِ
قالت: فمن ذا دعي للطير يأكله؟ فقلتُ: أقرب مرضي ومنتحل[2]
قالت: فمن تلوه يوم الكساء أجب؟ فقلتُ: أفضل مكسو ومشتملِ
قالت: ففي من أتى من أهل أتى شرف؟ فقلتُ: أبذل أهل الأرض للنفلِ[3]
قالت: فمن راكع زكى بخاتمه؟ فقلتُ: اطعنهم مذ كان بالأسلِ[4]
قالت: فمن ذا قسيم النار يسهمها؟ فقلتُ: من رأيه أذكى من الشعلِ
قالت: فمن باهل الطهر النبي به؟ فقلتُ: تاليه في حلٍ ومرتحلِ
قالت: فمن شبه هارون لنعرفه؟ فقلتُ: من لم يحل يوماً ولم يزلِ
قالت: فمن ذا غدا باب المدينة قل؟ فقلتُ: من سألوه وهو لم يَسَلِ
قالت: فمن قاتل الأقوام إذ نكثوا؟ فقلتُ: تفسيره في وقعة الجملِ
قالت: فمن حارب الأرجاس إذ قسطوا؟ فقلتُ: صفين تبدي صفحة العملِ
قالت: فمن قارع الأنجاس إذ مرقوا؟ فقلتُ: معناه يوم النهروان جلي
قالت: فمن صاحب الحوض الشريف غداً؟ فقلتُ: من بيته في أشرف الحلل

(١) طفلت الشمس: مالت للغروب.
(٢) النحلة: الدين والعقيدة.
(٣) النفل: العطية والجود.
(٤) الأسل: الرماح.

قالت: فمن ذا لواء الحمد يحمله؟ فقلتُ: من لم يكن في الروع بالوجل[1]
قالت: أكلُّ الذي قد قُلتَ في رجل؟ فقلتُ: كلُّ الذي قد قلت في رجلِ
قالت: فمن هو هذا الفرد سِمهُ لنا؟ فقلتُ: ذاك أمير المؤمنين علي[2]

* * *

وقال ابن الحجّاج[3]:

يا صاحبَ القبّةِ البيضاءَ في النّجفِ من زارَ قبرك واستشفى لديك شُفي
زوروا أبا الحسن الهادي لعلّكُمُ تحظونَ بالأجر والإقبال والزُّلفِ[4]
زوروا لمن تُسمع النّجوى لديه فمنْ يزره بالقبر ملهوفاً لديه كُفي
إذا وصلتَ فأحرمْ قبل تدخلهِ ملبياً واسع سعياً حوله وطفِ
حتّى إذا طفت سبعاً حول قبّتهِ تأمّلِ الباب تلقا وجهه فقفِ
وقل: سلامٌ من الله، السلامُ على أهل السّلام وأهل العلم والشرفِ
إنّي أتيتُكَ يا مولايَ من بلدي مستمسكاً من حبال الحقّ بالطرفِ
هذي ملائكة الرحمن دائمة يهبطن نحوك بالألطاف والتحفِ
لا قدّس الله قوماً قال قائلُهُم: بخٍ بخٍ لك من فضلٍ ومن شرفِ
وبايعوك بخمٍ ثمّ أكّدها محمّد بمقال منه غير خفي

(١) راع الأمر فلاناً روعاً: أفزعه. والوجل: الخوف والفزع.
(٢) الغدير ٤/ ٤١.
(٣) شاعر العراق الكبير، وأديبه المحلق، توفي سنة ٣٩١ هـ.
(٤) الزلفى: الدرجة والمنزلة.

عاقوك واطرحوا قول النبي ولم يمنعهمُ قولُه: هذا أخي خَلَفي
هذا وليكم بعدي فمن علقت به يداه فلن يخشى ولم يخفَ[1]

* * *

وقال ابن أبي الحديد[2]:

يا برقُ إنْ جئتَ الغريَّ فقل له: أتراك تعلمُ من بأرضكَ مودعُ
فيك ابن عمران الكليم وبعده عيسى يُقَفّيه وأحمد يتبعُ
بل فيك جبريلُ وميكالُ وإسرافيلُ والملأُ المقدّسُ أجمعُ
بل فيك نورُ الله جلّ جلاله لذوي البصائر يستشف ويلمعُ
فيك الإمام المرتضى فيك الوصي المجتبى، فيك البطين الأنزعُ
ومبدد الأبطال حيث تألبوا ومفرّق الأحزاب حيث تجمعوا
هذا هو النور الذي عذباته كانت بجبهة آدم تتطلعُ
وشهاب موسى حيث أظلمَ ليلُه رُفعت له لألاؤه تتشعشع
يا من له رُدّت ذكاء ولم يفز بنظيرها من قبلُ إلاّ يوشعُ[3]
يا هازمَ الأحزاب لا يثنيه عن خوض الحمام مدججٌ ومدرّعُ

(١) الغدير ٤/ ٨٩.
(٢) من فطاحل العلماء والمتكلمين وفي طليعة شعراء عصره، وفاته ببغداد سنة ٦٥٥ هـ.
(٣) هنا الشاعر يذكر ما أجمع عليه أهل السير من أنّ الشمس قد رُدّت للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام كما حصل ذلك ليوشع بن نون وَصي نبي الله موسى عليه السلام.

يا قالع الباب الذي عن هزها عجزت أكفّ أربعون وأربعُ
لولا حدوثك قلتُ: إنّكَ جاعلُ الأرواح في الأشباح والمستنزعُ
لولا مماتك قلت: إنّكَ باسطُ الأرزاق تقدرُ في العطاء وتوسعُ
أهواك حتّى في حشاشة مهجتي نارٌ تشبُّ على هواك وتلذعُ[1]

* * *

قال نصير الدين الطوسيّ[2]:

لو أنّ عبداً أتى بالصّالحات غداً وودّ كل نبيٍّ مرسلٍ وولي
وصام ما صام صواماً بلا ضجر وقام ما قام قوّاماً بلا ملل
وحجّ ما حجّ من فرضٍ ومن سننٍ وطاف ما طاف حافٍ غير منتعلِ
وطار في الجوّ لا يأوي إلى أحد وغاص في البحر مأموناً من البللِ
يكسو اليتامى من الديباج كلّهم ويطعم الجائعين البرّ بالعسلِ
وعاش في النّاس آلافاً مؤلفةً عار من الذنب معصوماً من الزللِ
ما كان في الحشر عند الله منتفعاً إلاّ بحب أمير المؤمنين علي[3]

* * *

(١) الروضة المختارة: ١٤٤.
(٢) من العلماء في المسائل العقلية، وله مصنّفات كثيرة، توفي سنة ٦٧٢ هـ.
(٣) أعيان الشيعة ٩/ ٤١٩.

قال صفي الدّين الحليّ[1] وقد سمع قول ابن عباس: «جُمعت في عليٍّ أضدادٌ لم تجمع في بشرٍ قط» ثم ذكر تفصيلها:

جُمعت في صفاتك الأضدادُ ... فلهذا عزّت لك الأندادُ
زاهدٌ حاكمٌ، حليمٌ شجاعٌ ... ناسكٌ فاتك، فقيرٌ جوادُ
شِيَمٌ ما جُمعن في بشرٍ قط ... ولا حاز مثلهن العبادُ
خُلقٌ يُخجل النسيم من اللطف ... وبأسٌ يذوب منه الجمادُ
فلهذا تعمّقت فيك أقوام ... بأقوالهم فزانوا وزادوا
وغلتْ في صفات فضلك (ياسين) ... و (صاد) وآل ياسين وصادُ
ظهرت منك للورى معجزاتٌ ... فأقرّت بفضلك الحُسّادُ
إن يكذّب بها عداك فقد كذّ ... ب من قبل قومٍ لوطٍ وعادُ
أنت سرُّ النبي، والصنو، وابن الـ ... ـعم، والصهر، والأخ المستجادُ
لو رأى غيرك النبي لآخاه ... وإلاّ فأخطأ الانتقادُ
بكم باهل النبي ولم يل ... فَ لكم خامسٌ فيُزَادُ
كُنت نفساً له وعرسك وابناك ... لديه النساء والأولادُ
جلّ معناك أن يحيط به الشعرُ ... وتحصي صفاته النقادُ[2]

***

(١) العلامة البليغ، شاعر عصره على الإطلاق، توفي سنة ٧٥٠ هـ ببغداد.
(٢) ديوانه: ٨٩.

وقال السيّد باقر الهندي[1]:

ليس يدري بكنه ذاتك ما هو ... يا بن عمّ النبي إلاّ اللهُ
ممكن، واجبٌ، قديمٌ، حديثٌ ... عنك تُنفى الأنداد والأشباهُ
لك معنى أجلى من الشمس لكن ... خَبطَ العارفون فيه وتاهوا
أنت في منتهى الظهور خفيٌّ ... جلّ معنى عُلاك ما أخفاهُ
هو مشكاة نوره والتجلّي ... سرُّ قدسٍ جهلتمُ معناهُ
قد براه من نوره يوم خَلَقَ الـ ... ـخلق طرّاً وباسمه سمّاهُ
وحباه بكل فضلٍ عظيم ... وبمقدار ما حباه ابتلاهُ
كانت الناس قبله تعبدُ الطا ... غوت رباً والجبت فيهم إلّهُ
ونبيُّ الهدى إلى الله يدعو ... هم ولا يسمعون منه نداهُ
سله لما هاجت عليه قريش ... من وقاه بنفسه وفداهُ
لو رأى مثله النبي لما وا ... خاه حيّاً وبعده وصاهُ[2]
قام يوم الغدير يدعو ألا من ... كنت مولىً له فذا مولاهُ
ما ارتضاه النبيُّ من قبل النفـ ... ـس ولكنّما الإلّه ارتضاهُ[3]

***

(١) من علماء النجف الأشرف البارزين، ومن شعرائها المُجيدين، توفي سنة ١٣٢٩ هـ.
(٢) واخاه: آخاه، اتخذه أخاً.
(٣) أعيان الشيعة. ٣/ ٥٣٩.

علي عليه السلام ومعارك الاسلام

علي (ع) يوم بدر:

أولاً: ليلة بدر

قال الإمام الباقر عليه السلام: انتدب رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة بدر إلى الماء، فانتدب علي عليه السلام، فخرج، وكانت ليلة باردة ذات ريح وظلمة فخرج بقربته، فلما كان إلى القليب (البئر) لم يجد دلواً، فنزل في الجب تلك الساعة، فملأ قربته، ثم أقبل فاستقبلته ريح شديدة فجلس حتى مضت. ثم قام، ثم مرّت به ريح أُخرى فجلس حتى مضت، ثم قام، ثم مرّت به أُخرى فجلس حتى مضت، فلما جاء إلى النبي قال له النبي صلى الله عليه وآله: ما حبسك يا علي؟ قال: لقيت ريحاً ثم ريحاً ثم ريحاً شديدة فأصابتني قشعريرة.

فقال: أتدري ما كان ذلك يا علي؟ فقال: لا. فقال: ذاك

جبرائيل مرّ في ألف من الملائكة وقد سلّم عليك وسلّموا، ثم مرّ ميكائيل في ألف من الملائكة فسلّم عليك وسلّموا، ثم مرّ إسرافيل وألف من الملائكة فسلّم عليك وسلّموا.

وفيها يقول الحميري:

أقسم بالله وآلائه ... والمرءُ عما قال مسؤول
إن علي بن أبي طالب ... على التقى والبِرّ مجبول
كان إذا الحرب مَرَتها القنا ... وأحجمت عنها البهاليل
يمشي إلى القرن وفي كفه ... أبيض ماضي الحد مصقول
مشيَ العفرني بين أشباله ... أبرزه للقنص الغيل
ذاك الذي سلّم في ليلة ... عليه ميكال وجبريل
ميكال في ألف وجبريل في ... ألف ويتلوهم سرافيل
ليلة بدر مدداً أنزلوا ... كأنهم طير أبابيل

ثانياً: يوم بدر والمعركة الحاسمة:

ولما أصبح الصباح استعد الفريقان للحرب، وتقدم عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد، وقالوا: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم فقالوا: ارجعوا إنما نريد الأكفاء من قريش، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان

له يومئذٍ سبعون سنة فقال: قم يا عبيدة، فقام بين يديه بالسيف ونظر إلى حمزة فقال: قم يا عم، ثم نظر إلى علي فقال: يا علي (وكان أصغر القوم) فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها، تريد أن تطفىء نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره فقاموا بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال: يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة وقال لحمزة: عليك بشيبة. وقال لعلي عليه السلام: عليك بالوليد، فمروا حتى انتهوا إلى القوم فقالوا: أكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنها (قطعها) فسقطا جميعاً وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما، وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه، قال علي عليه السلام لقد أخذ الوليد يمينه بشماله فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا علي أما ترى الكلب نهز عمك؟ فحمل عليه علي عليه السلام فقال: يا عم طأطىء رأسك، وكان حمزة أطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره فضرب علي عليه السلام شيبة فطرح نصفه، ثم

جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه.

علي (ع) يوم أحد:

أُحُد: اسم منطقة بالقرب من المدينة في سفح الجبل، وفيها وقعت واقعة أُحد، والتقى المسلمون بالمشركين، واشتعلت نار الحرب وقامت على ساق، نقتطف من الواقعة موقف علي عليه السلام فيها، وما أصابه من العناء.

وقد كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني عبد الدار، فبرز ونادى: يا محمد أو يا معاشر أصحاب محمد تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إلي، فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

يا طلح إن كنتم كما تقول ... لكم خيول ولنا نصول
فاثبت لننظر أينا المقتول ... وأينا أولى بما نقول
فقد أتاك الأسد الصَّؤول
بصارم ليس به فلول ... ينصره القاهر والرسول

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، قال: قد علمت يا قضم، إنه لا يجسر عليّ أحد غيرك، فشد عليه طلحة فضربه، فاتقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالجحفة، ثم ضربه أمير المؤمنين على فخذيه فقطعهما جميعاً فسقط على ظهره وسقطت الراية فذهب علي عليه السلام ليجهز عليه فحلفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً، ثم أخذ الراية سعيد بن أبي طلحة، فقتله علي عليه السلام، وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عثمان بن طلحة، فقتله علي عليه السلام وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها الحارث بن أبي طلحة، فقتله علي عليه السلام وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عزيز بن عثمان فقتله علي عليه السلام وسقطت رايته إلى الأرض، فقتل أمير المؤمنين التاسع من بني الدار وهو أرطأة بن شرحبيل مبارزة، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها مولاهم صوأب فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها بشماله، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على شماله فقطعها فسقطت الراية إلى الأرض فاحتضنها بيديه المقطوعتين، ثم قال: يا بني عبد الدار هل

أعذرت فيما بيني وبينكم؟ فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية فنصبتها.

وانهزم المشركون وتبعهم المسلمون وشرعوا بجمع الغنائم، ولما رأى المشركون ذلك ووجدوا المسلمين مشغولين بالمغانم رجعوا من طريق آخر، وجعلوا المسلمين في الوسط، وحملوا عليهم حملة رجل واحد، بقيادة خالد بن الوليد، وقتلوا من المسلمين مقتلة عظيمة، وانقسم الناس آنذاك إلى قسمين: المنهزمون وهم الأكثر عدداً، والثابتون وهم ما بين قتيل وجريح، وكان علي عليه السلام أكثرهم جراحاً، فقد أُصيب في ذلك اليوم بعدة جراحات.

علي (ع) يوم بني النضير:

عندما توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بني النضير وحاصرهم، فضرب قبته في أقصى بني حطمة من البطحاء، فلما جن الليل رماه رجل من بني النضير بسهم، فأصاب القبة، فأمر النبي صلى الله عليه وآله أن تحوّل قبته إلى السفح، وأحاط بها المهاجرون والأنصار فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين عليه السلام،

فقال الناس: يا رسول الله ما نرى علياً؟!، فقال عليه السلام: أراه في بعض ما يصلح شأنكم. فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي صلى الله عليه وآله، وكان يقال له: عزوراً، فطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبي: كيف صنعت؟ فقال: إني رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً، فكمنت له، وقلت: ما أجرأ أن يخرج إذا اختلط الظلام يطلب منّا غرّةً، فأقبل مصلتاً بسيفه في تسعة نفر من اليهود، فشددت عليه وقتلته، فأفلت أصحابه، ولم يبرحوا قريباً، فابعث معي نفراً فإني أرجو أن أظفر بهم.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله، معه عشرة، فأدركوهم قبل أن يدركوا الحصن، فقتلوهم وجاؤوا برؤوسهم إلى النبي وأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة. وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير.

* * *

علي (ع) يوم الخندق:

تحزبت الأحزاب ضد رسول الله صلى الله عليه وآله في مكة وضواحيها

وقصدت المدينة لمحاربة رسول الله، ونزل جبرائيل على النبي وأخبره فاستشار النبي أصحابه، فأشار عليه سلمان بحفر الخندق حول المدينة، فأقبل رسول الله ومعه المهاجرون والأنصار، وحفروا الخندق، في جانب من المدينة يشبه نصف الدائرة، فلما فرغوا من حفر الخندق، وصل المشركون، ونزلوا بالقرب من الخندق.

وخرج فوارس من قريش منهم: عمرو بن عبد ودّ أخو بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال، وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيأوا للحرب يا بني كنانة، فستعلمون اليوم مَن الفرسان؟ ثم أقبلوا تعنق بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، وتعرفها قبل ذلك فقيل لهم: هذا من تدبير الفارسي الذي معه (سلمان) ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم، فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى

أخذ منهم الثغرة التي منها اقتحموا، وأقبلت الفرسان نحوهم، وكان بينهم عمرو ابن عبد ودّ فارس قريش وكان قد قاتل يوم بدر حتى ارتث (حمل من المعركة) وأثقلته الجراح فلم يشهد أُحُداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مشهده، وكان يُعد بألف فارس وكان يسمى: فارس يليل لأنه: أقبل في ركب من قريش حتى إذا هو بيليل وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لأصحابه: امضوا، فمضوا، فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من أن يصلوا إليه، فعُرف بذلك، وكان اسم الموضع الذي حفر فيه الخندق: المداد، وكان أول من طفره عمرو وأصحابه، فقيل في ذلك:

عمرو بن ود كان أول فارس ... جزع المداد وكان فارس يليل

وركز عمرو بن عبد ودّ رمحه في الأرض وأقبل يجول حوله، ويرتجز.

وذكر ابن إسحاق أن عمرو بن عبد ودّ كان ينادي من يبارز؟ فقال رسول الله ﷺ: من لهذا الكلب؟ فلم يجبه أحد فقام علي عليه السلام وهو مقنَّع بالحديد، فقال: أنا له يا نبي الله،

فقال إنه عمرو، اجلس، ونادى عمرو: ألا رجل؟ وجعل يؤنبهم ويسبّهم، ويقول أين جنتكم التي تزعمون أن من قُتِل منكم دخلها؟ فقام علي عليه السلام فقال: أنا له يا رسول الله، فأمره النبي بالجلوس، ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد بححتُ من النداء ... بجمعكم هل من مبارز؟
ووقفت إذ جبن المشجع ... موقف البطل المناجز
إني كذلك لم أزل ... متسرعاً نحو الهزاهز
إن السماحة والشجاعة ... في الفتى خير الغرائز

فقام علي عليه السلام فقال: يا رسول الله أنا. فقال: إنه عمرو، فقال: وإن كان عمراً وأنا علي بن أبي طالب!! فاستأذن رسول الله ﷺ فأذن له، وألبسه درعه ذات الفضول، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وعمَّمه السحاب على رأسه تسعة أكوار (أدوار) ثم قال له: تقدّم. فقال لما ولى: «اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه».

ثم قال: برز الإيمان كله إلى الشرك كله.

فمشى إليه وهو يقول:

لا تعجلـــن فقـــد أتـــا ... ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيّـــةٍ وبصيـــرةٍ ... والصدق منجي كل فائز
إنـــي لأرجـــو أن أُقيـــم ... عليك نائحة الجنائز
مـــن ضـــربة نجـــلاء يبقى ... ذكـــرهـــا عنـــد الهـــزاهـــز

وما زال رسول الله ﷺ آنذاك رافعاً يديه مُقحماً رأسه إلى السماء داعياً به قائلاً: أللّهم إنك أخذت مني عبيدة يوم بدر وحمزة يوم أحد، فاحفظ عليَّ اليوم علياً، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين. فقال عمرو: من أنت؟ وكان عمرو شيخاً كبيراً قد جاوز الثمانين، وكان نديم أبي طالب بن عبد المطلب في الجاهلية، فانتسب علي له.

فقال عمرو: أجل، لقد كان أبوك نديماً لي وصديقاً، فارجع فإني لا أُحب قتلك! فقال علي عليه السلام: لكني أُحب أن أقتلك! فقال عمرو: يا ابن أخي إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، فارجع وراءك خير لك، ما آمن ابن عمك حين بعثك إلي أن أختطفك برمحي هذا.

فقال له علي عليه السلام: قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلت الجنة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت من النار وأنا

في الجنة.

فقال عمرو: كلتاهما لك يا علي؟ تلك إذن قسمة ضيزى!!.

فقال علي عليه السلام: إن قريشاً تتحدث عنك أنك قلت: لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلاَّ أُجيب، ولو إلى واحدة منها؟ قال: أجل. قال: فإني أدعوك إلى الإسلام، وفي رواية: أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قال: دع هذه!! أو نَحّ هذا.

قال: فإني أدعوك أن ترجع بمن يتبعك من قريش إلى مكة، فإن يك محمد صادقاً فأنتم أعلى به عيناً، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره. قال: إذن تتحدث نساءُ قريش عني: أن غلاماً خدعني وينشد الشعراءُ فيَّ أشعارها أني جبنت، ورجعت على عقبي من الحرب، وخذلت قوماً رأسوني عليهم. قال: فإني أدعوك إلى البراز راجلاً، فجمى عمرو وقال: ما كنت أظن أحداً من العرب يرومها مني.

ثم نزل فعقر فرسه ـ وقيل ضرب وجه فرسه ففر ـ ثم قصد نحو علي عليه السلام وضربه بالسيف على رأسه، فأصاب

السيف الدرقة فقطعها، ووصل السيف إلى رأس علي عليه السلام.

فضربه عليٌّ عليه السلام على عاتقه فسقط، وفي رواية: فضربه على رجليه بالسيف فوقع على قفاه، وثار العجاج والغبار، وأقبل علي ليقطع رأسه فجلس على صدره، فتفل اللعينُ في وجه الإمام عليه السلام فغضب عليه السلام، وقام عن صدره يتمشى حتى سكن غضبه، ثم عاد إليه فقتله.

وقال ربيعة بن مالك السعدي: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت: يا أبا عبد الله إن الناس يتحدثون عن علي بن أبي طالب ومناقبه، فيقول لهم أهل البصيرة: إنكم لتفرطون في تقريظ هذا الرجل. فهل أنت محدّثي بحديث عنه أذكره للناس؟ فقال: يا ربيعة وما الذي تسألني عن علي؟ وما الذي أحدثك به عنه؟ والذي نفس حذيفة بيده: لو وُضع جميع أعمال أمة محمد في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال علي في كفة أُخرى لرجح على أعمالهم كلها، فقال ربيعة: هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، إني لأظنه إسرافاً يا أبا

عبد الله!!!.

فقال حذيفة: يا لكع! وكيف لا يحمل؟ وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه؟ فملكهم الهلع والجزع، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه علي فقتله؟.

والذي نفس حذيفة بيده: لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أُمة محمد إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة.

وجاء عليٌّ برأس عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فتهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وآله فقام أبو بكر وعمر بن الخطاب وقبّلا رأسه، وكان علي عليه السلام يقول:

أنا علي وابن عبد المطلب الموت خير للفتى من الهرب

فقال عمر: هلاَّ سلبته درعه، فإنه ليس في العرب درع مثلها؟ فقال علي عليه السلام: إني استحييت أن أكشف سوأة ابن عمي.

وفي رواية: لما جلس علي عليه السلام على صدر عمرو ليذبحه قال له عمرو: يا علي قد جلست مني مجلساً عظيماً،

فإذا قتلتني فلا تسلبني حلَّتي، فقال عليه السلام: هي أهون علي من ذلك.

ولما قتل علي عليه السلام عمراً انهزم المشركون وانكسرت شوكتهم، وكفى الله المؤمنين القتال بعلي عليه السلام.

قال حسان بن ثابت في قتل عمرو بن عبد ود:

أمسى الفتى عمرو بن ود يبتغي ... بجنوب يثرب غارة لم تنظر
فلقد وجدت سيوفنا مشهورة ... ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد رأيت غداة بدر عصبة ... ضربوك ضرباً غير ضرب المحضر
أصبحت لا تدعى ليوم كريهة ... يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

فأجابه بعض بني عامر:

كذبتم وبيت الله لم تقتلوننا ... ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغى ... بكف علي نلتم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن ود ولا ابنه ... ولكنه الكفو الهزبر الغضنفر
علي الذي في الفجر طال ثناؤه ... فلا تكثروا الدعوى عليه فتفجروا
ببدر خرجتم للبراز فردكم ... شيوخ قريش جهرة وتأخروا
فلما أتاهم حمزة وعبيدة ... وجاء علي بالمهند يخطر
فقالوا: نعم أكفاء صدق فأقبلوا ... إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبروا
فجال علي جولة هاشمية ... فدمَّرهم لما عتوا وتكبروا

فليس لكم فخر علينا بغيرنا ... وليس لكم فخر يعدّ ويذكر

وكان عليه السلام يقول ـ مشيراً إلى هذه الفضيلة ـ:

أعليَّ تفتخر الفوارس هكذا؟ ... عني وعنهم خبروا أصحابي
اليوم يمنعني الفرارَ حفيظتي ... ومصمم في الرأس ليس بنابي
أرديت عمراً إذ طغى بمهند ... صافي الحديد مجرب قضاب
نصر الحجارة عن سفاهة رأيه ... ونصرت رب محمد بصواب
فصدرت حين تركته متجدلا ... كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني ... كنت المقطَّر بزَّني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ... ونبيه يا معشر الأحزاب

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين.

وفي رواية الحاكم في المستدرك: لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة.

وسبب ذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهنٌ بقتل عمرو، ولم يبق في المسلمين بيت من بيوت المسلمين إلا ودخله عزٌّ بقتل عمرو.

ولما وصل الخبر إلى أُخت عمرو قالت: من ذا الذي اجترأ عليه؟ فقالوا: علي بن أبي طالب. فقالت: لم يعدُ موته إلا على يد كفو كريم لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قاتل الأبطال وبارز الأقران، وكانت منيته على يد كفو كريم من قومه، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر، ثم أنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به ... وكان يدعى قديماً بيضة البلد

وفي نسخة: وكان يدعى أبوه بيضة البلد.

ولقد أجاد المرحوم الشيخ كاظم الأزري (عليه الرحمة) في قصيدته الألفية التي يقول فيها:

ظهرت منه في الوغى سطوات ... ما أتى القوم كلهم ما أتاها
يوم غصت بجيش عمرو بن ود ... لهوات الفلا وضاق فضاها
وتخطى إلى المدينة فرداً ... بسرايا عزائم ساراها
فدعاهم وهم ألوف ولكن ... ينظرون الذي يشب لظاها
أين أنتم عن قسور عامري ... تتقي الأُسد بأسه في شراها
فابتدى المصطفى يحدّث عما ... يؤجر الصابرون في أُخراها
قائلاً: إن للجليل جناناً ... ليس غير المجاهدين يراها

أين من نفسه تتوق إلى ... الجنات أو يورد الجحيم عداها
من لعمرو؟ وقد ضمنت على ... الله له من جناته أعلاها
فالتووا عن جوابه كسوام ... لا تراها مجيبة من دعاها
وإذا هم بفارس قرشي ... ترجف الأرض خيفة إذ يطاها
قائلاً: ما لها سواي كفيل ... هذه ذمّةٌ عليَّ وفاها
ومشى يطلب الصفوف كما ... تمشي خماص الحشا إلى مرعاها
فانتضى مشرفيَّه فتلقى ... ساق عمرو بضربة فبراها
وإلى الحشر رنة السيف منه ... يملأُ الخافقين رجع صداها
يا لها ضربة حوت مكرمات ... لم يزن ثِقل أجرها ثَقَلاها
هذه من علاه إحدى المعالي ... وعلى هذه فقس ما سواها

علي (ع) يوم خيبر:

قال الطبرسي رحمه الله: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة، ثم خرج منها غازياً إلى خيبر.

وهي منطقة تبعد عن المدينة المنورة فراسخ، وهي عبارة عن حصون وقلاع محصنة، كانت اليهود تسكنها يومذاك، فلما وصل النبي ﷺ إلى خيبر، واستعد للقتال واصطف العسكران، خرج رجل من المسلمين اسمه: عامر بن الأكوع

يبارز رجلاً من اليهود اسمه مرحب، وكان مرحب يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

فأجابه عامر:

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

فتضاربا بالسيف، فوقع سيف عامر على ركبته فمات منه.

وحاصر النبي تلك الحصون خمساً وعشرين يوماً، ثم أعطى رايته أبا بكر أولاً فنهض ونهض معه المسلمون فلقوا أهل خيبر فرجعوا.

وأعطى الراية عمر بن الخطاب في اليوم الثاني فذهب مع المسلمين فرجع يجبِّن أصحابه ويجبنونه، فلما علم النبي ذلك قال: لأُعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه.

فبات الناس وكل منهم يتمنى أن يكون المقصود بكلام رسول الله ﷺ وكان علي غائباً في تلك الغزوة، وما كان

الناس يحسبونه المعني بكلام النبي، حتى قال بعضهم: أما علي فقد كُفيتموه فإنه أرمد لا يبصر موضع قدمه. وأصبح الصباح وخرج رسول الله ﷺ بالراية، وأقبل الناس إلى النبي ليعرفوا الرجل الذي يستحق أن يكون حاملاً راية الإسلام وفاتحاً لحصون اليهود؟.

فقال النبي ﷺ: أين علي بن أبي طالب فقيل: هو يشتكي عينيه، فقال: أرسلوا إليه. فجاؤوا به على بغلة وعينه معصوبة بخرقة، فأخذ سلمة بن الأكوع بيده وأتى به إلى النبي ﷺ فقال النبي: ما تشتكي يا علي؟ قال: رمد ما أبصر معه، وصداع برأسي. فقال النبي: اجلس وَضَعْ رأسك على فخذي. ففعل علي ذلك، فدعا له النبي ﷺ وتفل في يده فمسح بها على عينيه ورأسه فانفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من الصداع وقال النبي: اللهم قِهِ الحر والبرد. وأعطاه الراية وكانت بيضاء فقال له: خذ الراية وامض بها، فجبرائيل معك، والنصر أمامك والرعب مبثوث في صدور القوم.

فأقبل علي عليه السلام بالراية يهرول بها ولحقه الناس فركز رمحه قريباً من الحصن، وأشرف عليه حبر من الأحبار فقال:

من أنت؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي: غُلبتم وما أنزل على موسى ـ أي غلبتم قسماً بالتوراة التي نزلت على موسى عليه السلام ـ.

فخرج إليه مرحب في عامة اليهود، وعليه مغفرة وحجر قد ثقبه مثل البيضة على أُم رأسه وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب

فقال علي عليه السلام:

أنا الذي سمتني أُمي حيدرة ضرغام آجام وليث قسورة
على الأعادي مثل ريح صرصرة أكيلكم بالسيف كيل السندرة
أضرب بالسيف رقاب الكفرة

فدعاهم علي عليه السلام إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب فاختاروا الحرب، فضربه الإمام بالسيف على رأسه ضربة قطعت الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع السيف في أضراسه، فخر صريعاً، وحمل علي عليه السلام والمسلمون على الجيش اليهودي فانهزموا ودخلوا الحصن، وسدوا بابه، وكان الباب حجراً منقوراً في صخر، والباب من الحجر في ذلك الصخر

المنقور، كأنه حجر رحى، وفي وسطه ثقب لطيف.

رمى علي عليه السلام القوس من يده اليسرى وجعل يده اليسرى في ذلك الثقب الذي في وسط الحجر وكان السيف بيده اليمنى ثم جذبه إليه فانهار الصخر المنقور، وصار الباب في يده اليسرى، فحملت عليه اليهود، فجعل علي عليه السلام الباب ترساً له وحمل عليهم فانهزموا، وإلى هذا أشار ابن أبي الحديد في قصيدته مخاطباً الإمام عليه السلام:

يا قالع الباب الذي عن هزه عجزت أكفٌ أربعون وأربع

واجتمع المسلمون ليرفعوا ذلك الحجر فلم يستطيعوا وهم أربعون رجلاً، وفتح علي تلك الحصون.

وتقدم حسان بن ثابت واستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول شعراً فقال له: قل. فأنشأ يقول:

وكان علي أرمد العين يبتغي دواءً فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة فبورك مرقيا وبورك راقيا
وقال: سأُعطي الراية اليوم صارماً كمياً محباً للرسول مواليا
يحب إلهي والإله يحبه به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصفى بها دون البرية كلها علياً وسماه الوزير المواخيا

فعند ذلك قال رسول الله عليه السلام لعلي عليه السلام: لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملأٍ إلا أخذوا من تراب رجليك، ومن فضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك: أن تكون أنت مني وأنا منك، ترثني وأرثك، وأنك مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، وأنك تبرئُ ذمتي وتقاتل على سنتي، وأنك في الآخرة أقرب الناس مني، وأنك غداً على الحوض خليفتي، وأنك أول من يرد عليَّ الحوض غداً، وأنك أول من يُكسى معي، وأنك أول من يدخل الجنة من أُمتي، وإن شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي أشفع لهم، ويكونون في الجنة جيراني، وأن حربك حربي، وأن سلمك سلمي، وأن سرك سري وأن علانيتك علانيتي، وأن سريرة صدرك كسريرة صدري وأن ولدك ولدي وأنك تنجز عدتي، وأن الحق على لسانك وفي قلبك، وبين عينيك، وأن الإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وأنه لا يرد عليَّ الحوض مبغض لك، ولن يغيب عنه محب لك غداً حتى يردوا الحوض معك.

فخر علي عليه السلام ساجداً شكراً لله.

وقال المرحوم الشيخ الأُزري في قصيدته الفريدة:

ولـه يـوم خيبـر فتكـات ... كبرت منظراً على من رآها
يـوم قـال النبـي إنـي لأُعطـي ... رايتـي ليثهـا وحـامـي حمـاهـا
فـاستطـالـت أعنـاق كـل فـريـق ... ليـروا أي مـاجـد يُعطـاهـا
فـدعـا: أيـن وارث العلـم والحلـ ... ـم مجيـر الأيـام مـن بـأسـاهـا
أيـن ذو النجـدة الـذي لـودعتـه ... فـي الثـريـا مـروعـة لبّـاهـا
فـأتـاه الـوصـي أرمـد عيـن ... فسقـاهـا مـن ريقـه فشفـاهـا
ومضـى يطلـب الصفـوف فـولـت ... عنـه علمـاً بـأنـه أمضـاهـا
وبـرى مـرحبـاً بكـف اقتـدار ... أقـويـاء الأقـدار مـن ضعفـاهـا
ودحـى بـابهـا بقـوة بـأس ... لـو حمتهـا الأفـلاك منـه دحـاهـا
عـائـد للمـؤمليـن مجيـب ... سـامـع مـا تسـرّ مـن نجـواهـا
إنمـا المصطفـى مـدينـة علـم ... وهـو البـاب مـن أتـاه أتـاهـا
وهمـا مقلتـا العـوالـم يسـرا ... هـا علـي وأحمـد يمنـاهـا

علي (ع) يوم حنين:

وفي يوم حنين لما تقدم أبو جرول ووراءه المشركون، وكانت الراية بيده وهو يرتجز قائلاً:

أنـــا أبـــو جـــرول لابـــراح حتـــى نبيـــح القـــوم أو نبـــاح

فقصده أمير المؤمنين فضرب عجز بعيره ثم ضربه وقتله ثم قال:

قـد علـم القـوم لـدى الصبـاح إنـي لـدى الهيجـاء ذو نصـاح

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول، وحمل عليهم المسلمون يقدمهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقتل منهم أربعين رجلاً وانهزم الباقون، وأُسر من أُسر منهم، وذلك بعد هزيمة المسلمين وتفرقهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ذكر القرآن الكريم موقف المسلمين يومذاك بقوله تعالى: ﴿**ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين**﴾.

ولابن أبي الحديد كلمة يصف فيها شجاعة الامام في مقدمة شرحه على النهج:

«أما الشجاعة: فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ومحى اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة،

يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرَّ قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلاَّ قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأُولى إلى ثانية.

وفي الحديث: كانت ضرباته وتراً، ولما دعى معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، فقال له عمرو بن العاص: لقد أنصفك! فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلاَّ اليوم!! أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنـه الشجـاع المطـرق؟ أراك طمعـت فـي إمـارة الشـام بعدي...».

* * *

الفكر التنموي
عند الإمام علي عليه السلام

ـ **تمهيد:**

تولى علي بن أبي طالب عليه السلام أمر الخلافة، وتحمل المسؤولية في أحرج الأوقات، فلم تستقر له الأوضاع، ولم تسنح له الفرصة ليطبق نظراته التنموية العميقة على واقع الحياة. إذ شغلته الفتن وصرفته الحروب عن تحقيق ما قصد إليه في خطبه وتوجيهاته وعهوده التي جمعت في كتاب «نهج البلاغة» والتي تضمنت فكراً تنموياً يفوق النظريات الحديثة صدقاً وصحة.

١ ـ مفهوم التنمية وأهدافها:

جاء في مقدمة العهد الذي كتبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لمالك بن الحارث الأشتر النخعي حين ولاه مصر: «**هذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاّه مصر: جباية خراجها، وجهادَ عدوها، واستصلاح أهلها، وعِمارة بلادها**»(١).

ففي هذا العهد تلخيص لوظائف الوالي الأربعة، والتي منها عِمارة البلاد. وفي كتابه إلى محمد بن أبي بكر الذي ولاّه مصر أيضاً، يصف له حالة المجتمع التي ينبغي أن تكون عليه في مصر وفي سائر بلاد الإسلام، حيث يتأمن لأفراد هذه المجتمعات ملذات الدنيا المباحة ما كفاهم وأغناهم، ويتمتعون بأعلى مستويات السكن والأكل واللباس، ووسائل المواصلات، وسائر أنواع الطيبات مع الإلتزام بتقوى الله تعالى ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين أمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**،

(١) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون﴾ [الأعراف: ٣٢].

يؤكد الإمام علي عليه السلام أن تقوى الله تعالى هي جماع كل خير، وهي دواء للقلوب، وشفاء لمرض الأجساد، وصلاح لفساد الصدور حيث يقول: «فمن أخذ بالتقوى غرُبت عنه الشدائد بعد دنوها واحلولت له الأمور بعد مرارتها وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأسهلت له الصعاب بعد إنصابها وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها، وتحدّبت عليه الرحمة بعد نفورها، وتفجرت عليه النعمة بعد نضوبها، ووبلت عليه البركة بعد إرذاذها»[1].

يرى الإمام عليه السلام أن العِمارة (التنمية) ليست مجرد زيادة الإنتاج أو رفع الدخل القومي، أو مضاعفة متوسط دخل الفرد، كما يرى ذلك أصحاب الفكر الحديث، وإنما تتطلب التنمية إلى جانب ذلك عدالة توزيع الدخل ورفع مستوى الاستهلاك لجميع أفراد المجتمع، سواء منهم من لديه القدرة على تحقيق ذلك لنفسه، أم من يعجز عن ذلك، إذ على الدولة أن تقوم بتحقيق هذا المستوى للصنف العاجز من الناس.

(١) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

يرى الإمام أن النقص في مستوى الإستهلاك الذي يصاب به فقير هو الوجه الآخر لشخص متخم استخدم من متاع الدنيا فوق احتياجاته، وأنه ما جاع فقير إلا بما متعَ غني، وهو علامة على سوء توزيع الدولة لثمار التنمية على أفراد المجتمع، وغفلتها عن تطبيق العدالة الإجتماعية بما يتناسب مع العمل والبذل من ناحية، ومع الحاجة من ناحية أخرى طبقاً لمنهج الإسلام في التوزيع حيث يقول:

«واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومُسْلَمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكُلٌّ قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضة... وفي الله لكل سعة، ولكُل على الوالي حق بقدر ما يصلحه»[1].

(١) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

عوامل التنمية وتنفيذها:

وبيَّن الامام عليه السلام للولاة شروطاً محددة، تستقيم أمور الرعية عند تطبيقها، وتتحقق عوامل التنمية عند تنفيذها والتي أهمها:

- توفير التماسك الإجتماعي وتحقيق المشاركة الشعبية.
- إقرار الأمن والنظام.
- القيام بالنشاطات الحياتية.

أ ـ توفير التماسك الاجتماعي:

يعتبر الإمام علي عليه السلام أن إقامة العدل وتحقيق المساواة يؤديان إلى التماسك الإجتماعي بين المواطنين وإلى رضى الرعية وتعاونها فيما بينها وبين راعيها، وهذا شرط أساسي لبناء العِمارة وبلوغ التنمية وتمكينها من الإنطلاق، وإلا اضطربت الأمور وانتفت الاستقامة، وخيم التخلف. يقول الإمام:

«وأعظم ما افترض ـ سبحانه ـ من تلك الحقوق حق

الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله ـ سبحانه ـ لكلٍ على كلٍ، فجعلها نظاماً لالفتهم، وعزاً لدينهم، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية، فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على اذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطُمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء. وإذا غلبت الرعية واليها، أو أجحف الوالي برعيته اختلفت هناك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثُر الإدغال في الدين، وتُركت محاج السنن، فعُمل بالهوى، وعُطلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حق عُطل، ولا لعظيم باطل فُعل، فهنالك تَذُل الأبرار، وتَعُز الأشرار، وتَعْظم تبعات الله عند العباد»[1].

لقد نصح الإمام ولاته بأن يكونوا هم وخاصتهم ومن يلوذون بهم وعامة الناس سواء فلا يستأثرون بشيء من المغانم والمكاسب، وأمرهم بالاختلاط بالناس والخروج

(١) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

إليهم، والتعرف إلى حقائق أمورهم وعدم تركها إلى مقربين وبطانة تجعل من الحكم وسيلة لتحقيق المنافع، وتكوين مراكز قوى تستغل الحاكم لمصالحها ومآربها، وتوقع الظلم والقهر بالعباد. يقول الإمام:

«إن أفضل قُرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية، وإنه لا تظهر مودَتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة الأمور، وقلة استثقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدتهم، فافسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله، ثم اعرف لكل امرىء منهم ما أبلى، ولا تضيعن بلاء امرىء إلى غيره»[1].

بهذه العدالة، وبإعطاء كل ذي حق حقه، وإضافة الجهد إلى صاحبه، تستقيم الأمور، ويتحقق الرضى الشعبي عن سياسة الدولة، وتحرص الجماهير على دوام العهد الذي تنعم فيه بتلك الرعاية، وتتسع في ظله آمالهم ومشاركتهم بتحقيق

(١) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

عمارة البلاد وبلوغ التنمية.

لم يكتف الإمام بدعوة ولاته إلى توفير العدل لتحقيق التماسك الإجتماعي وحصول المشاركة الشعبية بل أمرهم بتوضيح سياسة الحكم وتفسيرها وشرح أسباب بعض التصرفات حتى لا يترك مجالاً للشك وإثارة الريب والشبهات، فتكون القناعة في الطاعة، والولاء عند الرعية، وتقوى العزيمة والإرادة على محاسبة النفس عند الحكام.

يقول الإمام: **«وإن ظنت بك الرعية حيفا فاصحر[1] لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم بإصحارك، فإن ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق»**[2].

بمثل هذه السياسة: صراحة الحاكم ورعايته للمحكوم، وطاعة المحكوم وولائه للحاكم، تتحقق الأخوة، ويقوى الترابط الإجتماعي، وتقوم دعائم التنمية والازدهار و «جميل الأثر في البلاد» كما سماها الإمام علي عليه السلام.

(١) أصحر: أظهر ـ الإصحار: الإظهار.

(٢) المرجع نفسه، م. س، ص ص ٢٨، ٢٩.

ب ـ إقرار وتنفيذ الأمن والنظام:

يعطي الإمام عليه السلام أهمية كبرى للأمن والنظام، فهما قوام الحكم وأمل الرعية، فإذا وجدا أمكن أن يتحقق كل خير، وإن فقدا فقد كل خير، وهما ضروريان لتحقيق العمارة والتنمية. يقول الإمام:

«ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، والزم كلا منهم ما ألزم نفسه»[1].

ينصح الإمام الولاة بتطبيق مبدأ الثواب والعقاب واعتماد حفظة الأمن أو «جنود الله» كما سماهم ليتمكن من الضرب على يد كل خارج على النظام، وتحقيق الأمن داخل المجتمع. واعتبر الإمام أن حفظة الأمن ومُقري النظام هم الحصون التي يتحصن بها المجتمع، والدروع التي يحتمي بها، وهم الطريق المؤدي إلى الأمن فيقول: «فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزَيْن الولاة، وعِز الدين، وسُبل الأمن

(١) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

وليس تقوم الرعية إلا بهم»[1].

إن الأمن يعدل الإطعام من الجوع إن لم يتفوق عليه كما جاء في القرآن الكريم ﴿**الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**﴾ [قريش: ٤].

ج ـ القيام بالوظائف الحياتية:

يرى الإمام أن الجهود المادية المبذولة لتحقيق العمارة تساعد في قيام مجتمع على مستوى من الإشباع المادي المرتفع، وتساهم بالتالي في تأمين حاجاته الإجتماعية والروحية.

١ ـ الاهتمام بالزراعة:

كانت الزراعة في الماضي، عماد الاقتصاد ودعامته. والإنتاج الزراعي هو النصيب الأكبر للدولة من الخراج أو ما يسمى بالدخل القومي لذلك طلب الإمام من الولاة أن يهتموا بالزراعة والغرس ويعطوها العناية التي تكفل لهذا القطاع

(١) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

صلاحيته وزيادة انتاجيته امتثالاً لقول الرسول ﷺ: (من زرع زرعاً أو غرس غرساً فله أجر ما أصابت منه العوافي)[1] وفي رواية أخرى أنه قال: (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة)[2].

فالإنتاج الزراعي، في رأي الإمام، هو القاعدة الأساسية لإنتاج المجتمع، وجميع القطاعات الأخرى تقوم عليه، وإن بناء غيره من القطاعات لا يجدي شيئاً إذا ترتب عليه خرابه. يقول الإمام: «**وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله**»[3].

٢ ـ الاهتمام بالتجارة:

إن القطاع التجاري في فكر الإمام عليه السلام يقوم بدور أساسي في تحقيق التنمية الإقتصادية، حيث يسرع بها أو

(١) العافية والعافي كل طالب رزق من إنسان أو بهيمة أو طائر.
(٢) الجامع الصغير، ج ١، ص ٨٥.
(٣) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

يحدها، ويلعب دوراً جوهرياً في تطور المجتمع وتقدمه.

لقد أبدى الإمام اهتماماً بهذا القطاع، وبالعاملين فيه داخلياً وخارجياً حيث يقول: «**استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً: المقيم منهم والمضطرب بماله، والمترفق بيده، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجُلابها من المباعد والمطارح في برِّك وبحرك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها**»[1].

فإذا تأمنت عناية الدولة للقطاع التجاري، ورعايتها للتجار، ومنعت الاحتكار، وما يضر بالناس، وطبقت فكرة الثمن العادل، وضبطت الموازين والمكاييل، وحصلت السماحة في معاملات البيع والشراء فإن الإطمئنان سوف يصيب مجتمع المتقين وسوف تترسخ دعائم النهضة والازدهار.

(١) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

صلاحيته وزيادة انتاجيته امتثالاً لقول الرسول ﷺ: (من زرع زرعاً أو غرس غرساً فله أجر ما أصابت منه العوافي)[1] وفي رواية أخرى أنه قال: (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة)[2].

فالإنتاج الزراعي، في رأي الإمام، هو القاعدة الأساسية لإنتاج المجتمع، وجميع القطاعات الأخرى تقوم عليه، وإن بناء غيره من القطاعات لا يجدي شيئاً إذا ترتب عليه خرابه. يقول الإمام: «**وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله**»[3].

٢ ـ الاهتمام بالتجارة:

إن القطاع التجاري في فكر الإمام عليه السلام يقوم بدور أساسي في تحقيق التنمية الإقتصادية، حيث يسرع بها أو

(١) العافية والعافي كل طالب رزق من إنسان أو بهيمة أو طائر.
(٢) الجامع الصغير، ج ١، ص ٨٥.
(٣) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

يحدها، ويلعب دوراً جوهرياً في تطور المجتمع وتقدمه.

لقد أبدى الإمام اهتماماً بهذا القطاع، وبالعاملين فيه داخلياً وخارجياً حيث يقول: «**استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً: المقيم منهم والمضطرب بماله، والمترفق بيده، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجُلابها من المباعد والمطارح في برِّك وبحرك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها**»[1].

فإذا تأمنت عناية الدولة للقطاع التجاري، ورعايتها للتجار، ومنعت الاحتكار، وما يضر بالناس، وطبقت فكرة الثمن العادل، وضبطت الموازين والمكاييل، وحصلت السماحة في معاملات البيع والشراء فإن الإطمئنان سوف يصيب مجتمع المتقين وسوف تترسخ دعائم النهضة والازدهار.

(١) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

٣ ـ الإهتمام بالصناعة:

لقد لقيت الصناعة، برغم بدايتها في عهد الإمام، عناية واهتماماً نظراً لما لمحه بفكرة الثاقب من الدور الهام الذي تقوم به في تأمين الكفاية من السلع والخدمات الصناعية.

واعتبر الجنود وأهل الخراج والقضاة والكتاب والعمال وسائر الموظفين لا قوام لهم بالتجارة والصناعة. ويقول الإمام عليه السلام: «**لا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم**»[1]. **ويقول الإمام في موضع آخر: «ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً**»[2].

٤ ـ الاهتمام بالخدمات:

يعتبر الإمام علي عليه السلام أن القضاة والعمال والكتاب وغيرهم من الموظفين المنتجين لمنتجات غير مادية يقومون

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.

بدور حيوي في تأمين الخدمات للناس على اختلافها، وتحقيق المنافع التي تشغل مكانة كبرى في سد حاجات مجتمع المتقين، وبلوغ العمارة والتنمية بشتى أنواعها، وقد أطلق عليهم وصف الصنف الثالث فقال: «**لا قوام لهذين الصنفين (الجنود وأهل الخراج) إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يخدمون من المعاقدة**[1] **ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها**»[2].

٣ ـ دور الدولة في تحقيق التنمية:

إن الدولة الإسلامية، التي هي في نظر الإمام خلافة عن صاحب الشرع في سياسة الدنيا بالدين، لها دور هام ألقاه الإسلام على عاتقها لتحقيق عمارة البلاد بتكوين مجتمع المتقين الذي هو هدف التنمية وغايتها.

يمكن التعرف إلى هذا الدور من خلال الأمور التالية:

(١) المعاقد: العقود في البيع والشراء.
(٢) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

أ ـ مكانة التنمية في وظائف الدولة.

ب ـ سياسة التنمية الاقتصادية.

ج ـ إطار التنمية.

ج ـ إطار التنمية.

أ ـ مكانة التنمية في وظائف الدولة:

حدد الإمام وظائف الدولة بأربعة، وتمثلت وظيفة تحقيق العمارة بالأساسية منها «جباية خراجها، وجهادَ عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها»[1].

وهذا ما يقابله اليوم في التصنيف الوزاري: وزارة المالية، وزارة الدفاع، وزراتي العدل والشؤون الاجتماعية، ووزارة التنمية.

إن مهمة تحقيق عمارة البلاد أو التنمية لم تكن مجرد تعداد للوظائف المطلوبة من الدولة بل هي دليل على عمق

(١) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

الفكر التنموي الإسلامي عند الإمام عليه السلام، ولذلك أمر الحاكم القيام بها وتنفيذها امتثالاً لقوله:

«هذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين.. جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها وعمارة بلادها»[1].

إن ترتيب عمارة البلاد في الدرجة الرابعة لا علاقة لها بأهميتها، فربما تفوق كل الوظائف الباقية للدولة مكانة وأهمية، حيث يقول الإمام:

«وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج»[2].

إن هذا يفيد أن وظيفة تحقيق العمارة هي أهم وأبلغ من وظيفة جباية الخراج كما يقول الدكتور يوسف يوسف: «فإذا علمنا أن جباية الخراج هي أولى الوظائف من حيث الذكر في ترتيب أمير المؤمنين في الوظائف الأربع، علمنا أن الترتيب لا يعني منزلة كل وظيفة من الأخرى طالما أن العمارة وهي الرابعة من

(١) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٣.

حيث الذكر أهم من جباية الخراج وهي الأولى من حيث الذكر، وعلمنا كذلك أن وظيفة تحقيق العمارة ليست أقل الأربع أهمية»[1].

ب ـ سياسة التنمية الاقتصادية:

إن المتمعن في وصية الإمام عليه السلام لواليه مالك الأشتر يتلمس بذور السياسة التنموية التي وضعها، والتي لم يستفض في شرحها، بل اكتفى بتحديد رؤوس الموضوعات وإبراز أمهات الأفكار.

عندما يقول الإمام «وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج» فإنه يعقد مفاضلة بين وظيفتين من وظائف الدولة، يفضل منها العمارة ويوليها أهمية تفوق الجباية، دون إهمال الأخرى، وبذلك تتحقق الوظيفتان معاً في الأمد الطويل، إذ أن الخراج لا يدرك إلا بتحقيق العمارة ولو حصل العكس لن تدرك جباية ولن تتحقق

(١) يوسف يوسف إبراهيم، استراتيجية وتكنيك التنمية الاقتصادية في الإسلام، م. س، ص ١٧٥.

تنمية «فمن طلب الخراج بدور عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد».

وعندما يقول الإمام «ولا يثقلن عليك شيء خففت بها المؤنة عليهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك «فنه يرى أن الأموال المجباة من قبل الدولة ستنفق على الاستهلاك، بينما الأموال المتروكة للأفراد في صورة مدخرات سوف تنفق على الاستثمار، مما يساعد على توجيه نسبة كبيرة من الدخل القومي لتحقيق التنمية والعمارة.

يفضل الإمام عليه السلام ترك مهمة الادخار التي هي دعامة الاستثمار للأفراد أي للقطاع الخاص لأنهم كما يقول الدكتور يوسف يوسف: «أقْدرُ في نظره على توجيه هذه المدخرات إلى الاستثمارات تتمثل في إضافات قليلة على الموارد الإنتاجية في شكل تحسين آلة، أو شق قناة، أو إضافة إلى ثروة حيوانية»[1].

إن هذا لا يعني أن الإمام دعا إلى منع الجباية من الناس، بل إنه أمر بتخفيفها قدر الإمكان، بحيث لا يجبي منهم إلا

(١) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

القدر الضرورية اللازم لتسيير إدارة البلاد، أو ما يفيض عن حاجتهم، وأن تدرك الدولة أن ما تتركه من جباية إنما يتحول في أيدي المواطنين إلى مدخرات تساعد في نظر الدكتور يوسف يوسف على «استغلال القدرات الغريزية والملكات النفسية الكامنة لدى الفرد في محافظته على ماله الخاص والعمل على تنميته بصورة أفضل من اهتمام مدير القطاع العام بأمواله»[1]، والتي ستتحول إلى استثمارات تنتج أثرها في تحسين نطاق الملكية الخاصة ومن ثم عمارة البلاد وتزيين الولاية.

ج ـ إطار التنمية:

إن القيام بالتنمية وتحقيق العمارة هو واجب ديني ألقته الشريعة الإسلامية على عاتق الدولة، وجعلته أمراً لا بد من توفيره للرعية، وأن الخروج عن هذا الإطار يحبط كل محاولاتها وجهودها.

(١) المرجع نفسه، ص ١٨٠.

فعندما أوكلت الدولة أمر المواطنين إلى الولاة، حملتهم مسؤولية الحدب عليهم ورعايتهم، وفرضت عليهم حمايتهم والمحافظة عليهم امتثالاً لقول الرسول ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته).

إن الشريعة الإسلامية، هي الإطار الذي وضعه الإمام لتمارس الدولة من خلالها جهودها التنموية بشتى الوسائل المادية والأدبية، والذي رسمه الإمام في نصائحه وعهوده إلى ولاته حيث أمرهم «بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها»[1]. كما أمر الرعية بطاعة أولي الأمر ورد المنازعات إلى الله وإلى الرسول حيث يقول: **«وأَرْدُدْ إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويُشتَبهُ عليك من الأمور فقد قال تعالى لقوم أحب إرشادهم:**

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي

(١) نهج البلاغة: عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر: ٦٠٤.

الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾[1] والرد إلى الله: «الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسننه الجامعة غير المفرقة»[2].

(١) المصدر نفسه.

(٢) أقتبسنا هذا الفصل من الكتاب القيم: التنمية في الاسلام: ٨٩، تأليف الدكتور ابراهيم العسل. (بتصرّف).

رجال حول علي عليه السلام

هناك رجال عاشوا مع الإمام، واقتبسوا من علومه ومناهجه، فأحبوه لما رأوا فيه من خصال الشجاعة والكرم والفضيلة والزهد والتقوى، فصاروا من خاصته ومحبّيه. وعلى من يقرأ حياة الامام عليه السلام أن يلم بعض الالمام بسيرة هؤلاء العظماء رضوان الله عليهم.

الأوّل: الأصبغ بن نُباتة المجاشعيّ.

رجل جليل القدر، من فرسان العراق، ومن خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام، كان شيخاً ناسكاً عابداً، وكان من ذخائر أمير المؤمنين عليه السلام.

ويروى أن الأصبغ سئل: كيف سمّاك أمير المؤمنين عليه السلام وأشباهك بشرطة الخميس؟ فقال: إنّا ضمنّا

له الذبح، وضمن لنا الفتح، أي: شرطنا له القتال معه حتى النصر أو الشهادة، وشرط لنا الجنّة وضمنها.

ولا يخفى أن الجيش سُمِّي خميساً لأنه مقسوم إلى خمسة أقسام: المقدّمة، والساقة، والميمنة، والميسرة، والقلب.

فإن قيل: فلان صاحب أمير المؤمنين عليه السلام من شرطة الخميس كان المعنى أنه من رجال جيشه الذين عقد بينه وبينهم شرطاً.

* * *

الثاني: أويس القرنيّ:

من خيار التابعين، ومن حواريّي أمير المؤمنين عليه السلام. وكان من الزهاد وآخر المئة الذين بايعوا أمير المؤمنين في صفين على بذل المهج في ركابه، وقاتل معه حتى استشهد.

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوماً لأصحابه: «أبشروا برجل من أمّتي يقال له أويس القرنيّ، فإنه يشفع بمثل ربيعة ومضر». كما شهد له صلى الله عليه وآله في حديث آخر بالشهادة ودخول

الجنة؛ وقال في حديث ثالث: «تفوح روائح الجنّة من قبل القرن، واشوقاه إليك يا أويس القرني، ألا من لقيه فليقرئه منّي السلام».

* * *

الثالث: الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني:

من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن محبّيه، يقول القاضي نور الله: ورد في تاريخ اليافعي أن الحارث كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وصحب عبدالله بن مسعود، كان فقيهاً وذكر الذهبي صاحب الميزان: أنه من كبار علماء التابعين، وعن أبي بكر بن أبي داود أن قال: الحارث الأعور كان أفقه الناس، وأفرض الناس، وأحسب الناس، أخذ علم الفرائض عن الأمير عليه السلام.

وقد ورد في كتاب الشيخ أبي عمرو الكشي: أن الحارث قدم ذات ليلة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فسأله عليه السلام: ما الذي جاء بك إلينا؟ قال: والله إنّها محبّتك التي أقدمتنا عليك، فقال عليه السلام: لتعلم يا حارث أنّه ما مات محبّ لنا إلاّ

ورآنا عند موته راجياً رحمة الله، وما مات عدّو لنا إلاّ رآنا عند موته وقد غرق باليأس والخجل.

* * *

الرابع: حجر بن عديّ الكنديّ الكوفيّ:

أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

عن (الكامل) للبهائي أن زهد حجر وكثرة عبادته مشهوران بين العرب، ويقول صاحب الاستيعاب في (المجالس): كان حجر من أفاضل الصحابة مع صغر سنّه بين كبارهم، وكان مستجاب الدعوة، وكانت له إمارة بني كندة في حرب صفّين إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام وكان أمير جيشه في النهروان.

يقول العلاّمة الحلّي قدّس سره: إنّ حجراً كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ومن الأبدال. قد طلب إليه أحد أمراء معاوية أن يلعن أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إنّ أمير الوفد أمرني أن ألعن عليّاً، فالعنوه لعنه الله.

استشهد رحمه الله بسعاية من زياد بن أبيه وحكم من معاوية بن أبي سفيان وذلك سنة إحدى وخمسين مع بعض أصحابه.

وقد كبر على قلوب المسلمين قتل حجر وأصحابه، وقد أكثروا من ملامة معاوية وتوبيخه على فعلته تلك.

ويروى أن معاوية قدم على عائشة، فقالت له: ما الذي أكرهك على قتل أهل عذراء حجر وأصحابه؟ قال: يا أمّ المؤمنين، رأيت في قتلهم صلاح الأمّة، وفي بقائهم فساد الأمّة، فلا جرم أنّي قتلتهم!!.

قالت عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سيقتل من بعدي قوم في عذراء يغضب الله تعالى لقتلهم وأهل السماء.

* * *

الخامس: رشيد الهجري:

من المتمسّكين بحبل الله المتين، وكان من خاصّة

أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام .

ويروي الشيخ الكشي أيضاً أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خرج يوماً مع أصحابه إلى بستان نخيل، فجلس تحت نخلة وأمر بجمع رطب منها، فتناولها مع أصحابه، فقال رشيد الهجري: ما أطيب هذا الرطب يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام : يا رشيد، أما إنّك ستصلب على جذعها .

فكان رشيد يختلف إليها باستمرار يسقيها، فجاءها يوماً وإذا قد قطع سعفها فقال: اقترب أجلي! فما مضت أيام حتى أرسل ابن زياد في طلبه، فأتاه، وفي الطريق إليه رأى الشجرة وقد جعلوها نصفين، فقال: هذا من أجلي؛ ثمّ دعوه إلى الأمير ثانية، فلمّا جاءه قال له ابن زياد: هات من كذب صاحبك، فقال: والله ما أنا بكذّاب ولا هو، ولقد أخبرني أنّك تقطع يديّ ورجليّ ولساني؛ فال ابن زياد:

إذاً والله نكذّبه، اقطعوا يديه ورجليه وأخرجوه؛ فلمّا حمل إلى أهله أقبل يحدث الناس بالعظائم، فعلم ابن زياد بذلك، فأمر بقطع لسانه. ويقال إنّه أمر بصلبه.

* * *

السادس: سليمان بن صرد الخزاعي:

كان اسمه في الجاهلية يساراً، وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله سليمان، كان رجلاً جليلاً فاضلاً، اختار الكوفة مكاناً لإقامته، وبنى في خزاعة داراً، وكان سيّد قومه، شهد صفّين مع أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو من اجتمع المؤمنون في بيته بعد موت معاوية، وكتبوا إلى الحسين عليه السلام كتاباً يطلبون فيه قدومه عليه السلام إلى الكوفة، لكنه لم يشهد الواقعة مع سيّد الشهداء عليه السلام ، وحرم من فيض الشهادة معه، وندم على ذلك أشدّ الندم، وحزم أمره على الاشتراك في الثأر لمقتله عليه السلام ، وفي سنة خمس وستين قام مع المسيّب بن نجبة الفزاريّ، وبعبد الله بن سعد بن نفيل العضديّ، وعبد الله بن والٍ التميميّ، ورفاعة بن شدّاد البجليّ، وجماعة آخرين من الكوفة يقال لهم التوّابون، قاموا للثأر لدم الإمام الحسين عليه السلام من قتلته من بني أميّة وتوجهوا بجمعهم نحو الشام.

وفي عين وردة، وهي مدينة من بلاد الجزيرة، التقوا

بجيش الشام وقوامه ثلاثون ألفاً، وكان بقيادة ابن زياد والحصين بن نمير، وشارحيل بن ذي الكلاع الحميريّ: وكان الجيش مقبلاً من الشام وجرت بين الفريقين معركة كبيرة، واستشهد سليمان بسهم سدّده إليه الحصين بن نمير، وقتل بعده المسيّب، ولمّا رأى الشيعة ذلك شهروا سيوفهم دفعة واحدة، بعد أن حطّموا أغماد سيوفهم وقد عزموا وصمّموا على الموت، وفي تلك الحال وصلهم مدد من البصرة قوامه خمسمائة مقاتل، وثبتوا في القتال ثباتاً مشهوداً.

وقد شرح الشيخ ابن نما كيفيّة مقتل سليمان من خلال تفصيله لمعركة الثأر، ختمه بقوله:

«فلقد بذل في أهل الثأر مهجته، وأخلص لله توبته؛ وقد قلت هذين البيتين حيث مات مبرّأً من العيب والشين:

قضى سليمان نحبه فغدا ... إلى جنان ورحمة الباري
مضى حميداً ببذل مهجته ... وأخذه للحسين بالثار

***

السابع: سهل بن حُنيف الأنصاريّ:

أخو عثمان بن حنيف، شهد بدراً وأُحداً، وأظهر شجاعة وبطولة في أُحد، ولازم أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين، وتوفّي بعد العودة من صفّين.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لو أحبّني جبل لتهافت»، ذلك لما يلقاه محبّ أهل البيت عليهم السلام من بلاء وامتحان.

وبعد وفاته رحمه الله كفّنه ببرد من الحبر الأحمر، وكبّر في الصلاة عليه خمساً وعشرين تكبيرة.

وقد أورد ابن حجر في (المجالس) أنه شهد جميع غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي وقعة أُحد، حيث فرّ أكثر الصحابة، ثبت مختاراً يرمي أعداء الرسول صلى الله عليه وآله بسهامه، ويذود عن حرمه؛ وشهد صفّين مجاهداً، وولي حكومة فارس فترة ثم عزل عنها بسبب خلاف مع أهلها، حيث وليها زياد بعده.

* * *

الثامن: صعصعة بن صوحان العبديّ:

كان من كبار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

وورد في كتاب (الاستيعاب) أن صعصعة بن صوحان العبدي أسلم في عهد رسول الله، وكان من كبار قومه بني عبد القيس، وكان خطيباً فصيحاً، متديّناً فاضلاً بليغاً، وكان هو وأخوه زيد بن صوحان في زمرة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

ويروى أن أبا موسى الأشعري ـ وكان عاملاً لعمر ـ أرسل ألف ألف درهم إلى عمر، فقام عمر بقسمة المال على المسلمين، وفضلت منه بقيّة، فقام عمر وخطب في القوم فقال: اعلموا أنه فضل من هذا المال ـ بعد أداء حقوق الناس ـ فضلة، فماذا ترون فيها، فوقف صعصعة ـ وكان لا يزال فتى أمرد ـ وقال: يا أمير المؤمنين، إن الشورى لا تصحّ في شيء يجب عمله ونزل القرآن في بيان حكمه، وما بيّن لك القرآن موضعه فضعه في موضعه؛ فقال عمر: نطقت حقّاً، فأنت منّي وأنا منك؛ ثم قسم تلك البقية بين المسلمين..

ويروى أنّه لمّا قدم معاوية الكوفة أمر أن يحضر إليه في مجلسه نفر ممّن كان الإمام الحسن عليه السلام قد أخذ لهم الأمان منه، وكان صعصعة بينهم، فلما دخل المجلس قال له معاوية: أما والله يا صعصعة لم أكن أريدك في أماني، فقال له: أما والله لم أكن أريد خطابك باسم الخلافة، ثم سلّم عليه باسم الخلافة، وجلس.

قال معاوية: لو كنت صادقاً في قولك فاصعد المنبر والعن عليّاً فتوجّه صعصعة إلى المسجد، وصعد على المنبر، ثم حمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال:

أيّها الناس، قدمت من عند رجل تقدّم شرّه وأبطأ خيره، وقد أمرني بلعن عليّ بن أبي طالب، فالعنوه لعنه الله، فقال أهل المسجد: آمين.

ثم عاد إلى معاوية وأبلغه بما فعله على المنبر، فقال معاوية: أما والله ما قصدت بلعنك سواي، عد إلى المسجد والعن عليّاً بصراحة، فعاد صعصعة وصعد المنبر وقال: أمرني معاوية أن ألعن عليّ بن أبي طالب، فأنا ألعن من لعن عليّ بن أبي طالب، فقال الحاضرون: آمين.

ولما بلغ معاوية ما جرى عرف أنّه لن يلعن أمير المؤمنين عليه السلام، فأمر بإخراجه من الكوفة.

* * *

التاسع: ظالم بن ظالم أبو الأسود الدؤليّ البصريّ:

من شعراء الإسلام، ومن محبيّ أمير المؤمنين عليه السلام، شهد صفّين، وهو من وضع علم النحو بعد أن أخذ أصوله عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من وضع النقاط لحروف القرآن الكريم أيام زياد بن أبيه.

توفي أبو الأسود بالطاعون سنة تسع وستين عن خمسة وثمانين عاماً في البصرة، وقد ذكر ابن شهرآشوب وجماعة غيره أشعاراً له في رثاء أمير المؤمنين عليه السلام مطلعها:

ألا يا عين جودي فاسعدينا ألا فابكي أمير المؤمنينا

وكان أبو الأسود شاعراً طليق اللسان، وكان سريع الجواب، وقد روى الزمخشري أن زياد بن أبيه سأل أبا الأسود: كيف أنت في محبّتك لعليّ؟ قال: كما أنت في محبّتك لمعاوية، غير أنّي أريد ثواب الآخرة وتريد حطام

الدنيا، ومثلي ومثلك كمن وصفهما عمرو بن معدي كرب:

خليلان مختلف شأنا أريد العلاء ويهوى السمن
أحبّ دماء بني مالكٍ وراق المعلّى بياض اللبن

كما يروي الزمخشري عنه هذين البيتين:

أمفنّدي في حبّ آل محمّد حجرٌ بفيك فدع ملامك أو زِدِ
من لم يكن بحبالهم مستمسكاً فليعترف بولادةٍ لم ترشد

* * *

العاشر: عبد الله بن جعفر الطيّار:

ورد في (المجالس) أنه أوّل مولود من أهل الإسلام يولد في الحبشة، وقدم المدينة مع أبيه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله، وفاز بملازمة صاحب الرسالة، ويذكر عن عبد الله قوله: أنا أحفظ حين دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على أمّي فنعى لها أبي، فانظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهرقان الدموع حتّى تقطّرت لحيته، ثم قال:

«اللهمّ إنّ جعفراً قد قدم إليك، أحسن الثواب، فاخلفه في ذرّيته بأحسن ما خلّفت أحداً من عبادك في ذرّيته».

وبعد ثلاثة أيام أتانا ﷺ في بيتنا فعزّانا وواسانا ودعا لنا، وقال لأمّي أسماء بنت عميس: لا تغتمّي فأنا وليّهم في الدنيا والآخرة.

ونشأ عبد الله كريماً جواداً حليماً عفيفاً، بلغ من سخائه أنه كان يقال له: «بحر الجود»، ويروى أنّ بعضهم عاتبه على كثرة سخائه فقال: سخوت حتى اعتاد الناس على العطاء، وأخشى إن قطعت عنهم عطائي أن يقطع الله عنّي عطاءه.

وكان أهل المدينة إذا اقترضوا شيئاً يعدون المقرض بالقول: سنؤدي لك قرضك عند عطاء عبد الله بن جعفر؛ ويروى أن الناس كانوا يلومونه على كثرة جوده وعطائه، فكان يقول:

لست أخشى قلّة العدم ... ما اتّقيت الله في كرمي
كلّ ما انفقت يخلفه ... ليَ ربّ واسع النعم

الحادي عشر: عبد الله بن الخبّاب بن الأرت:

من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان أبوه من المعذّبين في الله، وأمّا هو، فلمّا سار خوارج النهروان وعبروا

موضعاً فيه نخل وماء رأوا عبد الله وقد وضع مصحفاً على عنقه يركب حماراً ومعه عياله وزوجه، وكانت حاملاً، فقالوا له: ماذا تقول في عليّ بعد التحكيم؟.

قال: إنّ عليّاً أعلم بالله، وأشدّ توقّياً على دينه، وأنفذ بصيرة.

قالوا: إنّ هذا القرآن الذي تحمله حول عنقك يأمرنا بقتلك!! ثمّ أخذوه فدنوا به من النهر وألقوه على حافّته وذبحوه كما تذبح النعجة حتى سال دمه مع الماء، ثم عمدوا إلى زوجه فبقروا بطنها، وقتلوا بعض النسوة ممّن كنّ معها.

واتفق أنّ تمراً سقط من النخل على الأرض، فالتقط أحدهم حبّة ووضعها في فمه، فصرخوا فيه: ماذا فعلت؟ فسارع إلى رميها من فمه!.

ورأوا خنزيراً فراح أحدهم يضربه، وسارع آخر إلى قتله، فقالوا له: هذا فساد في الأرض، وأنكروا عليه عمله!.

* * *

الثاني عشر: عبد الله بن عبّاس:

من أصحاب رسول الله ﷺ وتلميذ أمير المؤمنين عليه السلام ومن محبّيه.

ويمتاز ابن عبّاس بتفوّقه في علم الفقه والتفسير والتأويل، بل في الأنساب والشعر، بسبب أنّه تتلمذ على أمير المؤمنين عليه السلام، وبسبب دعاء رسول الله ﷺ له، ذلك أنه أحضر الماء لاغتساله ﷺ في بيت خالته ميمونة زوجه ﷺ، فدعا له وقال: «اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل».

وكان رجلاً عالماً فصيح اللسان ذا فهم وإدراك، وقد بعث به أمير المؤمنين عليه السلام ليحاجج الخوارج، وفي حادثة التحكيم واختيار أبي موسى قال عليه السلام: أنا لا أرضى بأبي موسى لهذا العمل، عليكم بابن عبّاس.

هذا وقد عمي ابن عبّاس في أواخر عمره، من كثرة البكاء على أمير المؤمنين وعلى الحسين عليهما السلام كما يقال، وقال في ذلك:

إن يأخذِ الله من عينيّ نورهما ففي لساني وقلبي منهما نورُ
قلبي زكيٌّ وعقلي غير ذي دَخَلٍ وفي لساني ما كالسيف مأثورُ

* * *

الثالث عشر: عثمان بن حُنَيْف:

أخو سهل بن حنيف، وهو من كبار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان عامله على البصرة؛ ويروى أنّه دعي إلى وليمة أقامها أحد فتية البصرة، وقد دعي إليها الأغنياء، وحجب عنها الفقراء، ولمّا بلغ هذا أمير المؤمنين عليه السلام كتب إليه:

«أمّا بعد يا بن حنيف فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها، تُستطاب لك الألوان، وتُنقل إليك الجفان، وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ، وغنيّهم مدعوّ..» الخ.

وعثمان هذا هو من أتاه طلحة والزبير حين قدما البصرة، فقتلا الكثير من جنده، وأخذاه فضرباه، ونتفا لحيته، وأخرجاه من البصرة.

وبعد حرب الجمل عيّن أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عبّاس والياً على البصرة، وسكن عثمان الكوفة وبقي حتى أيام معاوية بن أبي سفيان.

* * *

الرابع عشر: عمرو بن الحَق الخزاعي:

عبد صالح، من حواريّي أمير المؤمنين عليه السلام، بلغ بملازمته أمير المؤمنين عليه السلام مقاماً عالياً، شهد جميع وقائعه من الجمل والنهروان إلى صفّين، سكن الكوفة بعد أمير المؤمنين عليه السلام كان جلّ اهتمامه ـ مع حجر بن عديّ ـ ينصبّ على منع بني أميّة من سبّ الإمام عليه السلام.

وفي كتاب بعث به الإمام الحسين عليه السلام ردّاً على كتاب لمعاوية، تحدث عن غدر معاوية ومكره وظلمه ونقضه للعهد، قال عليه السلام:

«أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونه، بعدما آمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثمّ قتلته جرأة على ربّك

واستخفافاً بذلك العهد؟».

* * *

الخامس عشر: كميل بن زياد النخعيّ اليمانيّ:

من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن أعاظمهم، والدعاء الشهير الذي يدعى به ليلة النصف من شعبان، وكل ليلة جمعة علّمه إيّاه أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك الحديث المشهور حين أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيده ـ إذا كانا في الفلاة ـ وقال:

«يا كميل، إنّ هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول: الناس ثلاثة...» إلى آخر الحديث.

ومن كلمات أمير المؤمنين عليه السلام لكميل وصيّته التي يقول فيها:

«يا كميل، مُر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، ويُدلجوا في حاجة من هو نائم، فوالذي وسع سمعه الأصوات ما من أحدٍ أودع قلباً سروراً إلاّ وخلق الله تعالى له من ذلك

السرور لطفاً، فإذا نزلت نازلة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تُطرد غريبة الإبل..».

كان كميل عاملاً لأمير المؤمنين فترة، ثم انتهى الأمر به إلى الحجّاج الثقفي فقتله، ويروى أنّه لما ولي الحجّاج العراق أراد الإمساك بكميل كي يقتله، ففرّ هارباً منه، فلما فشل في الإمساك به قرر قطع العطاء من بيت المال عن قومه، ولما بلغ ذلك كميلاً قال: لم يبق من العمر إلاّ القليل، ممّا لا ينبغي معه قطع رزق القوم، ثم قام وقدم إلى الحجّاج، قال الحجاج: لقد بحثت عنك لأجزيك! قال: اعمل ما بدا لك فلم يبق من العمر إلاّ القليل، وعمّا قريب سأرجع وإيّاك إلى الله عزّ وجلّ وقد أخبرني مولاي أنّك قاتلي؛ ثمّ أمر به فضربت عنقه.

كان ذلك سنة ثلاث وثمانين للهجرة، وتوفي عن تسعين عاماً، وقبره معروف في الثويّة ما بين النجف والكوفة.

* * *

السادس عشر: مالك بن الحارث الأشتر النخعيّ:

سيف الله المسلول على أعدائه، جليل القدر عظيم المنزلة، وخصوصيّته من أمير المؤمنين عليه السلام أظهر من أن تذكر، ويكفي في هذا المقام قول عليّ عليه السلام فيه:

«رحم الله مالكاً، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله».

في سنة ثمان وثلاثين للهجرة ولاّه أمير المؤمنين عليه السلام على مصر، وقبل أن يبعث به إلى مصر كتب إلى أهلها كتاباً، وممّا جاء فيه:

«أمّا بعد، فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، أشدّ على الفجّار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا قوله وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ، فإنّه سيف من سيوف الله..».

وعهد له عهداً هو أطول عهوده عليه السلام، يشمل من اللطائف والمحاسن الكثير، مملوء بالعظات والحكم ممّا لا

يحصى، يصلح دستوراً لكل والٍ وسلطان وحاكم، ويشتمل على أصول جباية الخراج وجمع الزكاة، وتجنّب ظلم عباد الله والجور عليهم إلى غير ذلك؛ وبعد أن عهد به إليه أمره أن يتجهّز للسفر، وخرج الأشتر في جماعة من أصحابه متوجّهاً إلى مصر.

يروى أن خبر تولية الأشتر لمّا طرق مسامع معاوية أرسل إلى أحد دهاقنة العريش يغريه على دسّ السمّ للأشتر مقابل إعطائه عشرين سنة من ضريبة الخراج، فلما قدم الأشتر العريش قدّم له الدهقان هديّة من العسل بعد أن مزجه بالسمّ، بعد أن عرف أن العسل هو الأكلة المفضّلة عند الأشتر، ولمّا أكل منه مات من فوره.

ويروي البعض أن موته كان في القلزم، وأنّ «نافعاً» هو من سمّمه، ولما بلغ الخبر معاوية سرّ سروراً عظيماً لم يتّسع له جلده، وضاقت عليه الدنيا الواسعة من فرط الفرح، وقال: «إنّ الله جنوداً من عسل».

ولما بلغ الخبر أمير المؤمنين عليه السلام تألّم أشدّ الألم وأسف بالغ الأسف فصعد المنبر فقال:

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين، اللّهمّ إنّي أحتسبه عندك، فإنّ موته من مصائب الدهر».

ثم قال: **«رحم الله مالكاً فلقد أوفى بعهده، وقضى نحبه ولقي ربّه، ومع أنّا وطّنّا أنفسنا على أن نصبر على كلّ مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله فإنّها من أعظم المصائب».**

ثُم نزل عن المنبر، ورجع إلى بيته، وتوافد إليه مشائخ نخع فوجدوه يتأسف ويتلهّف على موت الأشتر، ثم قال: .

«لله درّ مالك، وما مالك! لو كان من جبل لكان فنداً[1]، ولو كان من حجر لكان صلداً؛ أما والله ليهدّنّ موتك جاهلاً، وليفرحنّ عالماً، على مثل مالك فلتبك البواكي، وهل مَرجُوٌّ كمالك؟ وهل موجود كمالك؟ وهل قامت النساء عن مثل مالك؟!.

ورد في مجموعة ورّام بن أبي فراس رحمه الله أن مالكاً الأشتر (رضي الله عنه) كان مجتازاً بسوق وعليه قميص خام وعمامة منه، فرآه بعض السوقة فأزرى بزيّه فرماه ببندقة تهاوناً

(١) الفند: الجبل العظيم.

به، فمضى ولم يلتفت؛ فقيل له: ويلك أتدري بمن رميت؟ فقال: لا، فقيل له: هذا مالك صاحب أمير المؤمنين عليه السلام، فارتعد الرجل ومضى إليه ليعتذر منه، وقد دخل مسجداً وهو يصلّي.

فلمّا انفتل انكبّ الرجل على قدميه يقبّلهما، فقال: ما هذا الأمر؟ فقال: أعتذر إليك ممّا صنعت؛ فقال: لا بأس عليك، فوالله ما دخلت المسجد إلاّ لأستغفرنّ لك!!.

وقد اقتدى مالك في كظمه وصبره في هذه القصة بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أشجع الناس من غلب هواه**».

* * *

السابع عشر: محمّد بن أبي بكر بن أبي قحافة:

رجل جليل القدر، عظيم المنزلة، من خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام ومن حواريّيه، بل هو بمنزلة ابن له، أمّه أسماء بنت عميس كانت زوجاً لجعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ثم تزوّجها أبو بكر من بعده فولدت له محمّداً في رحلة حجّة الوداع، وبعد أبي بكر تزوّجها أمير

المؤمنين عليه السلام، فلا جرم أن يتربّى محمّد في حجره، حتّى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «محمّد ابني من صلب أبي بكر».

شهد محمّد واقعتي الجمل وصفّين وبعد صفين عيّنه أمير المؤمنين عليه السلام والياً على مصر، وفي سنة ثمان وثلاثين بعث معاوية بعمرو بن العاص، ومعاوية بن خديج، وأبي الأعور السلمي في جيش كبير إلى مصر، وهناك جمعوا جموعهم وانبروا لقتال محمد بن أبي بكر وأخذوه أسيراً، ثم ضرب معاوية بن خديج عنقه وهو ظامىء، وقطع رأسه وأدخل جثّته ـ يساعده ابن العاص ـ في جوف حمار وأحرقوه بالنار، وكان عند موته ابن ثمان وعشرين.

أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فهو لمّا بلغه النبأ حزن على محمد حزناً عميقاً، وكتب إلى ابن عباس في البصرة ينعيه إليه بقوله:

«**أمّا بعد، فإن مصر قد افتتحت، ومحمّد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد، فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قادحاً، وركناً دافعاً.**

وقد كنت حثثت الناس على لحاقه، وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة، ودعوتهم سرّاً وجهراً، وعوداً وبدءاً، فمنهم الآتي كارهاً، ومنهم المعتلّ كاذباً، ومنهم القاعد خاذلاً؛ أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً، فوالله لولا طمعي عند لقاء عدوّي في الشهادة، وتوطيني نفسي على المنية لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً، ولا ألتقي بهم أبداً».

ولما تلقّى ابن عبّاس النبأ قدم الكوفة لتعزية أمير المؤمنين عليه السلام.

* * *

الثامن عشر: ميثم بن يحيى التمّار:

من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن أصفيائه وحواريّيه، وقد أسبغ عليه من علومه فغدا تلميذاً وفياً لأستاذه، وكانت له منزلة عظيمة عند أمير المؤمنين عليه السلام

ثم إنَّ عبيد الله بن زياد حبسه فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيدة الثقفي، قال له ميثم: إنّك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذي يقتلنا.

فلمّا دعا عبيد الله بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله يأمره بتخلية سبيله، فخلاّه، وأمر بميثم أن يصلب، فأخرج فرفع على الخشبة عند باب عمرو بن حريث[1].

(١) إستعنا بتراجم هؤلاء الأصحاب بكتاب «منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل»، الشيخ عباس القمي، ج ١، ص ٣٠٣.

استشهاد أمير المؤمنين (ع)

قُبضَ أمير المؤمنين عليه السلام ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة، بعد أن ضربه أشقى الأمّة عبد الرحمن بن ملجم المراديّ اللعين بالسيف المسموم على رأسه في مسجد الكوفة، في ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة مضين من الشهر، فبقي يومين ثم لقي ربّه شهيداً وله من العمر ثلاث وستون سنة.

وكان في هذا الشهر يفطر ليلة في بيت الحسن، وليلة في بيت الحسين، وليلة في بيت زينب عليها السلام لا يزيد على ثلاث لقم، فقيل له في ذلك فقال: يأتيني أمر الله وأنا خميص، إنّما هي ليلة أو ليلتان.

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان على المنبر يوماً، فنظر إلى ابنه الحسن عليه السلام وقال: أي أبا محمد، كم يوماً انقضى من شهر رمضان هذا؟ قال: ثلاثة عشر يوماً، فنظر إلى الحسين عليه السلام وقال: أي أبا عبد الله، كم بقي من شهر رمضان هذا من الأيّام؟ قال: سبعة عشر يوماً، فرفع يده إلى لحيته، وكانت بيضاء فقال: «والله ليخضبها بدمها إذا انبعث أشقاها»، ثم أنشد:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليليك من مراد

أمّا عن كيفيّة مقتله عليه السلام فيُروى أن نفراً من الخوارج ـ ومن بينهم عبد الرحمن بن ملجم ـ اجتمعوا بمكّة، فتذاكروا الأمراء فعابوهم وعابوا عليهم أعمالهم، وذكروا أهل النهروان وبكوا عليهم وترحّموا، وقال بعضهم من خلال الحديث: إن عليّاً ومعاوية سبب بلاء هذه الأمّة فلو أتيناهما وقتلناهما فأرحنا منهما البلاد والعباد؛ قال رجلٌ من أشجع: أما والله ليس عمرو بن العاص بأقلّ منهما، فهو أصل الفساد والفتنة؛ فتعاهدوا بينهم على ذلك، فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا أكفيكم عليّاً؛ وقال الحجّاج بن عبد الله المعروف بالبرك: أنا

أكفيكم معاوية؛ وقال دادوية المعروف بعمرو بن بكر التميمي: أنا أكفيكم عمرو بن العاص.

وأمّا عبد الرحمن بن ملجم فأقبل إلى الكوفة ونزل في محلّة بني كندة، قاعدة الخوارج، فلقي بها أصحابه فكتمهم أمره مخافة أن ينتشر منه شيء، فهو في ذلك إذ زار رجلاً من أصحابه، فصادف عنده قطام بنت الأخضر التيميّة، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها، صباحة وجه وسواد شعر كالمسك، وكان أمير المؤمنين عليه السلام قتل أباها وأخاها في النهروان؛ فلمّا رآها ابن ملجم شغف بها واشتدّ إعجابه، وسأل في نكاحها وخطبها، فقالت: ما الذي تسمّي لي من الصداق؟ فقال: لا تسأليني شيئاً إلاّ أعطيته، فقالت: ثلاثة آلاف درهم، وعبداً، وقينة، وقتل علي بن أبي طالب؛ فقال: لك جميع ما سألت، فأمّا قتل عليّ بن أبي طالب فأنّى لي بذلك؟ قالت: فالتمس غرّته، فإن أنت قتلته شفيت نفسي، وهنأك العيش معي، وإن أنت قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا.

عرف ابن ملجم أن اللعينة متفقة معه فيما هو فيه، فقال:

أما والله ما جاء بي إلى هذا المصر ـ وقد كنت هارباً منه ـ إلاّ ما سألتني من قتل عليّ بن أبي طالب، فلك ما سألت. قالت: فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك؛ ثم بعثت إلى وردان بن مجالد التيميّ وسألته معونة ابن ملجم لعنه الله، فتحمّل ذلك لها.

وخرج ابن ملجم فأتى رجلاً من أشجع القوم يقال له شبيب بن بجرة، فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: تساعدني في قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئاً إدّاً، وكيف تقدر على ذلك؟ قال ابن ملجم: نكمن له في المسجد الأعظم، فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به، فإن نحن مثلنا وشفينا أنفسنا، وأدركنا ثأرنا، فلم يزل به حتى أجابه، فأقبل معه حتى دخل على قطام، وكانت معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت عليها قبّة، فقالا لها: قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل، فقالت لهما: إذا أردتما ذلك فائتياني في هذا الموضع؛ فانصرفا من عندها، فلبثا أيّاماً ثم أتياها ومعهما وردان ليلة الأربعاء لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، فدعت لهم

بحرير فعصبت به صدورهم، وتقلّدوا سيوفهم، ومضوا وجلسوا مقابل السدّة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين عليه السلام إلى الصلاة.

وكانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين عليه السلام، وواطأهم على ذلك؛ وحضر الأشعث بن قيس في تلك الليلة لمعونتهم على ما اجتمعوا عليه.

أحوال أمير المؤمنين (ع) ليلة تسع عشرة من شهر رمضان:

وفي بيان حال أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الليلة:

قالت أمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام: لمّا كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قدّمت إليه عند إفطاره طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير، وقصعة فيها لبن وملح جريش؛ فلمّا فرغ من صلاته أقبل في فطوره، فلمّا نظر إليه وتأمّله حرّك رأسه وبكى بكاءً شديداً عالياً وقال: يا بنيّة أتقدّمين إلى أبيك إدامين في طبق واحد؟ أنا أريد أن أتّبع أخي وابن عميّ

رسول الله صلى الله عليه وآله يا بنيّة، ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلاّ طال وقوفه بين يدي الله عزّ وجلّ، يا بنيّة، إنّ الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب.

ثم ذكر شيئاً عن زهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال:

يا بنيّة، والله لا أكل شيئاً حتى ترفعي أحد الإدامين، فلما رفعته أكل قرصاً واحداً بالملح الجريش، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قام إلى صلاته فصلى، ولم يزل راكعاً ساجداً ومبتهلاً ومتضرعاً إلى الله.

ويروى أنّه عليه السلام كان يكثر الخروج والدخول في تلك الليلة، وهو ينظر إلى السماء وهو قلق يتململ، ثم قرأ سورة «يس» حتى ختمها، ويكثر من قول: «**اللهم بارك لنا في الموت**»، و «**لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم**» و «**إنّا لله وإنّا إليه راجعون**»، ثم صلّى حتى ذهب بعض الليل، ثم جلس للتعقيب، ثمّ صلّى على النبيّ وآله، واستغفر الله كثيراً.

وروى أنّه عليه السلام سهر في تلك الليلة، فأكثر الخروج والنظر إلى السماء وهو يقول: «**والله ما كذَبَت وما كُذِّبت، وإنّها الليلة التي وُعدت**» ثمّ يعاود مضجعه، فلمّا طلع الفجر

أتاه ابن النباح (مؤذّنه) ونادى: الصلاة، فقام فاستقبله الاوزّ فصِحن في وجهه، فجعلوا يطردوهنّ فقال: دعوهنّ فإنّهنّ صوائح تتبعها نوائح.

وبرواية عن أمّ كلثوم والإمام الحسن عليه السلام:

فقلت له: يا أبا هكذا تتطيّر؟ فقال: يا بنيّة، ما منّا أهل البيت من يتطيّر ولا يُتطيّر به، ولكن قول جرى على لساني.

مجيئه (ع) إلى المسجد وإيقاظه للنائمين:

وسار أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل المسجد، والقناديل قد خمد ضوؤها، فصلّى في المسجد ورده، وعقّب ساعة، ثم إنّه قام وصلّى ركعتين. ثم علا المئذنة، ووضع سبّابتيه في أذنيه وتنحنح ثمّ أذّن، وكان عليه السلام إذا أذّن لم يبق في بلدة الكوفة بيت إلاّ اخترقه صوته؛ ثم نزل من المئذنة وجعل يسبّح الله ويقدّسه ويكبّره، ويكثر من الصلاة على النبيّ ثمّ أنشد:

خلّوا سبيل المؤمن المجاهد ... في الله لا يعبد غير الواحد
ويوقظ الناس إلى المساجد

كان من كرم أخلاقه عليه السلام أنّه يتفقّد النائمين في المسجد، ويقول للنائم: الصلاة يرحمك الله، الصلاة.

وكان ابن ملجم اللعين لم ينم تلك الليلة وهو يفكّر في ما سيقدم عليه من أمر عظيم، ولما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إلى الملعون وجده نائماً على وجهه، ومعه السيف المسموم تحت ثوبه، فقال له: يا هذا قم من نومك هذا، فإنّها نومة يمقتها الله وهي نومة الشيطان، بل نم على يمينك فإنّها نومة المؤمنين، أو على يسارك فإنّها نومة الحكماء، أو نم على ظهرك فإنّها نومة الأنبياء.

ضربة اللعين ابن ملجم لعلي (ع):

ثم تركه وعدل عنه إلى محرابه، وقام قائماً يصلّي.

أما ابن ملجم فمع أنّه كان يتردّد في مسمعه أن أمير المؤمنين عليه السلام يقتل بيد أشقى الأمّة، وقوله لقطام: أخاف أن أكون ذلك الشقي، ولا يتيسّرُ لكِ ما تتمنين، وكان تلك الليلة يفكّر في هذا الأمر العظيم حتى الصبح، وصمّم على

قتل أمير المؤمنين عليه السلام فتقدّم حتى وقف بإزاء الأسطوانة التي كانت إلى جانب المحراب، في حين كان وردان وشبيب يكمنان في الركن.

ولمّا رفع أمير المؤمنين عليه السلام رأسه من الركعة الأولى كان شبيب بن بجرة أول من حمل عليه وهو يقول: لله الحكم يا علي، لا لك ولا لأصحابك، وضربه بسيفه فأخطاه ووقعت ضربته في الطاق؛ وأعقبه ابن ملجم فأخذ سيفه وهزّه، وحمل عليه وهو يردد الكلام نفسه، ثم ضربه على رأسه الشريف وشاء القضاء أن تقع الضربة على موضع الجرح الذي أصابه به عمرو بن عبد ودّ العامريّ، ثم أخذت الضربة من مفرق رأسه إلى موضع السجود، فقال عليه السلام: «باسم الله وبالله على ملّة رسول الله، فزت وربّ الكعبة». ثم صاح: قتلني ابن ملجم، قتلني ابن اليهوديّة وربّ الكعبة، أيّها الناس لا يفوتنكم ابن ملجم.

فلمّا سمع الناس صيحته ثار جميع من في المسجد في طلب اللعين، وعلت الأصوات، واضطرب الناس وماجوا، وأحاطوا بأمير المؤمنين عليه السلام وهو ملقىً في محرابه يشدّ

الضربة، ويأخذ التراب ويضعه عليها، ثم تلا قوله تعالى: **﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾**.

ثم قال: أتى أمر الله، وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله، ورأى الناس الدم من رأسه يجري على وجهه ويخضب لحيته، وهو يقول: «هذا ما وعدنا الله ورسوله».

ونادى جبرائيل عليه السلام بين السماء والأرض يسمعه كلّ مستيقظ عندها:

«تهدّمت والله أركان الهدى، وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قتل ابن عمّ المصطفى، قتل الوصيّ المجتبى، قتل عليّ المرتضى، قتل والله سيّد الأوصياء، قتله أشقى الأشقياء».

فلما سمعت أمّ كلثوم النعي قالت: واأبتاه، واعلياه، وامحمداه، واسيداه، ثم إن الحسن والحسين عليهما السلام خرجا إلى المسجد فإذا الناس ينوحون وينادون: واإماماه، واأمير المؤمنيناه، قتل والله إمام عابد مجاهد، لم يسجد لصنم، كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا سمع الحسن والحسين عليهما السلام صرخات الناس ناديا: واأبتاه، واعلياه، ليت

الموت أعدمنا الحياة.

فلمّا وصلا الجامع ودخلا وجدا أبا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من الناس وهم يجتهدون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلّي بالناس، فلم يطق على النهوض، وتأخّر عن الصفّ وتقدّم الإمام الحسن عليه السلام فصلّى بالناس، وأمير المؤمنين عليه السلام يصلّي إيماء من جلوس، يميل تارة ويسكن أخرى، والحسين عليه السلام ينادي وانقطاع ظهراه، يعزّ والله عليّ أن أراك هكذا، ففتح عينيه وقال: يا بنيّ، هذا جدّك محمد المصطفى، وجدّتك خديجة الكبرى، وأمّك الزهراء، والحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك، فطب نفساً وقرّ عيناً وكفّ عن البكاء، فإنّ الملائكة قد ارتفعت أصواتهم.

ثم عصبوا رأسه بردائه، ونقلوه من المحراب إلى صحن المسجد. ثم إنّ الخبر شاع في جوانب الكوفة وانحشر الناس، حتّى المخدّرات خرجن من خدورهنّ إلى الجامع ينظرن إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فدخل الناس الجامع فوجدوا الحسن ورأس أبيه في حجره، وقد غسل الدم عنه، وشدّ الضربة وهي ما تزال تشخب دماً، ووجهه قد زاد بياضاً

بصفرة، وهو يرمق السماء بطرفه، ولسانه يسبّح الله ويوحّده ويقول:

«إلهي أسألك مرافقة الأنبياء والأوصياء، وأعلى درجات جنّة المأوى».

ثم أغشي عليه، فبكى الحسن بكاءً شديداً فسقط من دموعه على وجه أمير المؤمنين عليه السلام، ففتح عينيه فقال له: يا بنيّ يا حسن ما هذا البكاء؟ فقال له الحسن عليه السلام: يا أبتاه، ما تعرّفنا من قتلك ومن فعل بك هذا؟ قال: قتلني ابن اليهودية عبد الرحمن بن ملجم المراديّ، وسيطلع عليكم من هذا الباب، وأشار بيده الشريفة إلى باب كندة، ولم يزل السمّ يسري في رأسه وبدنه، ثم أغمي عليه ساعة، والناس ينظرون إلى باب كندة ويبكون، وإذا بالصيحة قد ارتفعت، وزمرة من الناس قد جاؤوا بعدوّ الله ابن ملجم مكتوفاً، وهذا يلعنه، وهذا يضربه، وهم ينهشون لحمه بأسنانهم، ويقولون له: يا عدّو الله ما فعلت؟ أهلكت أمّة محمّد، وقتلت خير الناس، وإنّه لصامت، وبين يديه رجل يقال له حذيفة النخعي، بيده سيف مشهور، وهو يردّ الناس عن قتله، حتى جاؤوا به

وأوقفوه بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا نظر إليه الحسن عليه السلام قال له: ويلك يا لعين يا عدّو الله، أنت قاتل أمير المؤمنين، ومثكلنا إمام المسلمين.

أطرق ابن ملجم ولم ينبس، وضجّ الناس بالبكاء والنحيب، ثمّ التفت الحسن عليه السلام إلى الذي جاء به فقال له: كيف ظفرت بعدوّ الله وأين لقيته؟ فقص عليه أمره، فقال عليه السلام: الحمد لله الذي نصر وليّه وخذل عدوّه، وبعد قليل فتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه وهو يقول: «أرفقوا بي يا ملائكة ربّي».

حديثه عليه السلام مع قاتله:

فقال له الحسن عليه السلام: هذا عدوّ الله وعدوّك ابن ملجم قد أمكن الله منه، وقد حضر بين يديك؛ فنظر إليه وقال له بضعف: يا بن ملجم، لقد جئت أمراً عظيماً وخطباً جسيماً.

ثمّ التفت إلى ولده الحسن عليه السلام وقال له: ارفق يا ولدي بأسيرك وارحمه وأحسن إليه وأشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أمّ رأسه، وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفزعاً؟

فقال له الحسن عليه السلام: يا أباه قد قتلك هذا اللعين الفاجر وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به؟! فقال: نعم يا بني، نحن أهل بيت لا نزداد على الذنب إلينا إلاّ كرماً وعفواً، والرحمة والشفقة من شيمتنا. فإن أنا متّ فاقتص منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة، ولا تحرقه بالنار، ولا تمثل بالرّجل، فإني سمعت جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور؛ وإن أنا عشت فأنا أولى بالعفو عنه، فإن عفوت فنحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلاّ عفواً وكرماً.

ولما حُمل أمير المؤمنين عليه السلام إلى بيته، وهو مدنف جاؤوا باللعين مكتوفاً إلى بيت من بيوت القصر فحبسوه فيه، والناس في أمر عظيم باكون محزونون، قد أشرفوا على الهلاك من شدّة البكاء والنحيب، والتفت إليه الحسن عليه السلام وهو يبكي، فقال له: يا أبتاه، من لنا بعدك؟ ما كيومك إلاّ يوم رسول الله صلى الله عليه وآله، من أجلك تعلّمت البكاء، يعزّ والله عليّ أن أراك هكذا؛ فناداه عليه السلام وقال: ادن منّي، فدنا منه وقد قرحت أجفان عينيه من البكاء، فمسح الدموع عن عينيه،

ووضع يده على قلبه وقال له: يا بنيّ، ربط الله قلبك بالصبر، وأجزل لك ولإخوتك عظيم الأجر، فسكّن روعتك واهدأ من بكائك، فإنّ الله قد آجرك على عظيم مصابك، ثم أُدخل إلى حجرته وأرقد في موضع مصلاّه.

وأقبلت زينب وأمّ كلثوم حتى جلستا معه على فراشه، وأقبلتا تندبانه وتقولان: يا أبتاه، من للصغير حتّى يكبر؟ ومن للكبير بين الملأ؟ يا أبتاه، حزننا عليك طويل، وعبرتنا لا ترقأ، فضجّ الناس من وراء الحجرة بالبكاء والنحيب، وفاضت دموع أمير المؤمنين عليه السلام عند ذلك، وجعل يقلّب طرفه وينظر إلى أهل بيته وأولاده، ثم دعا الحسن والحسين عليهما السلام وجعل يحضنهما ويقبّلهما.

يروي الشيخ المفيد والشيخ الطوسي عن الأصبغ بن نباتة قال: لمّا ضرب ابن ملجم لعنه الله، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام غدونا عليه نفر من أصحابنا أنا والحارث الهمداني وسويد بن غفلة وجماعة معنا، فقعدنا على الباب، فسمعنا البكاء فبكينا، فخرج إلينا الحسن بن علي عليه السلام فقال: يقول لكم أمير المؤمنين عليه السلام: انصرفوا إلى

منازلكم، فانصرف القوم غيري، فاشتدّ البكاء من منزله فبكيت، وخرج الحسن عليه السلام وقال: ألم أقل لكم انصرفوا؟ فقلت: لا والله يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله لا تتابعني نفسي ولا تحملني رجلاي أن أنصرف حتّى أرى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فبكيت ودخل، فلم يلبث أن خرج فقال لي: ادخل، فدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء، قد نزف واصفرّ وجهه، ما أدري وجهه أصفر أو العمامة، فأكببت عليه فقبّلته وبكيت، فقال لي: لا تبك يا أصبغ فإنّها والله الجنّة، فقلت له: جعلت فداك، إنّي أعلم والله أنّك تصير إلى الجنّة، وإنما أبكي لفقداني إيّاك.

وقد كان يغمى عليه ساعة طويلة ثم يفيق، وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغمى عليه ساعة طويلة ويفيق أخرى.

فلما أفاق ناوله الحسن عليه السلام قعباً من لبن، فشرب منه قليلاً ثم نحّاه عن فيه وقال: احملوه إلى أسيركم، ثم أعاد وصاية الحسن عليه السلام بشأن مأكل اللعين ومشربه.

قال أبو الفرج: ثمّ جُمع له أطبّاء الكوفة، فلم يكن منهم أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هاني السلولي، وكان متطبّباً

صاحب الكرسي، يعالج الجراحات، فلما نظر إلى جرح أمير المؤمنين عليه السلام دعا برئة شاة حارّة فاستخرج منها عرقاً أدخله في شقّ الجرح ثمّ نفخه حتى بلغ أقصى الجرح، وبعد أن تركه في الجرح قليلاً استخرجه وإذا عليه بياض الدماغ، فقال: يا أمير المؤمنين اعهد عهدك، فإنّ عدوّ الله قد وصلت ضربته إلى أمّ رأسك.

في وصايا أمير المؤمنين عليه السلام وكيفيّة وفاته

وصايا أمير المؤمنين عليه السلام:

قال محمّد بن الحنفيّة (رضي الله عنه): وبتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي وقد نزل السمّ إلى قدميه، وكان يصلّي تلك الليلة من جلوس، ولم يزل يوصينا بوصاياه، ويعزّينا عن نفسه، ويخبرنا بأمره وتبيانه إلى حين طلوع الفجر، فلمّا أصبح استأذن الناس عليه، فأذن لهم بالدخول، فدخلوا وأقبلوا يسلّمون عليه، وهو يردّ عليهم السلام، ثمّ قال: أيّها الناس اسألوني قبل أن تفقدوني، وخفّفوا سؤالكم

لمصيبة إمامكم، فبكى الناس عند ذلك بكاءً شديداً، فقام إليه حجر بن عدّي وقال شعراً في مصيبة أمير المؤمنين عليه السلام، فلما سكت قال له: كيف لي بك إذا دعيت إلى البراءة منّي؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لو قطّعت بالسيف إرباً إرباً وأضرمت لي النار وألقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك، فقال: وفّقت لكلّ خير يا حجر، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيّك.

ثم قال: هل من شربة من لبن؟ فأتوه بلبن في قعب، فشرب منه قليلاً وقال: ألا وإنّه آخر رزقي من الدنيا، فبكى جميع أهل البيت.

ولمّا كانت ليلة إحدى وعشرين جمع أولاده وأهل بيته وودّعهم، ثمّ قال لهم: الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل، وأوصاهم ببعضهم خيراً.

وفي تلك الليلة تزايد أثر السمّ في جسده الشريف، ثمّ عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبى، فنظرنا إلى شفتيه وهما تختلجان بذكر الله تعالى، وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه بيده ويقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«إنّ المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه، وصار كاللؤلؤ الرطب، وسكن أنينه».

ثم نادى أولاده كلّهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً وجعل يودّعهم ويقول: الله خليفتي عليكم، أستودعكم الله، وهم يبكون.

ثم قال: **«أحسن الله لكم العزاء، ألا وإنّي منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه، ولاحق بحبيبي محمّد صلى الله عليه وآله كما وعدني»**.

ويروي الشيخ المفيد والشيخ الطوسي عن الإمام الحسن عليه السلام أنّه قال: لمّا حضرت والدي الوفاة أقبل يوصي[1] فقال:

(١) وقال المسعودي في مروج الذهب: ثم دعا الحسن والحسين (ع) فقال لهما: «أوصيكما بتقوى الله وحده، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها، قولا الحقّ وارحما اليتيم، وأعينا الضعيف، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً، ولا تأخذكما في الله لومة لائم.

«هذا ما أوصى به عليّ بن أبي طالب أخو محمّد رسول الله ﷺ وابن عمّه وصاحبه: أوّل وصيّتي أنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسوله وخيرته، اختاره بعلمه، وارتضاه لخيرته؛ وأنّ الله باعث من في القبور، وسائل الناس عن أعمالهم، عالم بما في الصدور.

ثمّ إنّي أوصيك يا حسن ـ وكفى بك وصيّاً ـ بما أوصاني به رسول الله ﷺ، فإذا كان ذلك يا بنيّ إلزم بيتك، وابك على خطيئتك، ولا تكن الدنيا أكبر همّك، وأوصيك يا بنيّ بالصلاة عند وقتها، والزكاة في أهلها عند محلّها، والصمت عند الشبهة، والاقتصاد والعدل في الرضى والغضب، وحسن الجوار، وإكرام الضيف، ورحمة المجهود، وأصحاب البلاء وصلة الرحم، وحبّ المساكين ومجالستهم، والتواضع فإنه أفضل العبادة، وقصّر الأمل، واذكر الموت، وازهد في الدنيا فإنّك رهين موت وغرض بلاء وطريح سقم.

وأوصيك بخشية الله في سرّ أمرك وعلانيتك، وأنهاك عن التسرّع بالقول والفعل، وإذا عرض شيء من أمر الآخرة فابدأ به، وإذا عرض شيء من أمر الدنيا فتأنّه حتّى تصيب رشدك

فيه، وإيّاك ومواطن التهمة، والمجلس المظنون به السوء، فإن قرين السوء يضرّ جليسه، وكن لله يا بنيّ عاملاً، وعن الخنى زجوراً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، وواخ الإخوان في الله، وأحبّ الصالح لصلاحه، ودار الفاسق عن دينك، وأبغضه بقلبك، وزايله بأعمالك لئلاّ تكون مثله؛ وإيّاك والجلوس في الطرقات، ودع المماراة ومجاراة من لا عقل له ولا علم، واقتصد يا بنيّ في معيشتك، واقتصد في عبادتك، وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه، والزم الصمت تسلم، قدّم لنفسك تغنم، وتعلّم الخير تعلم، وكن لله ذاكراً على كلّ حال، وارحم من أهلك الصغير، ووقّر منهم الكبير؛ ولا تأكلنّ طعاماً حتّى تصدّق منه قبل أكله، وعليك بالصوم فإنّه زكاة البدن، وجنّة لأهله؛ وجاهد نفسك، واحذر جليسك، واجتنب عدوّك، وعليك بمجالس الذكر، وأكثر من الدعاء، فإنّي لم آلك يا بنيّ نصحاً؛ وهذا فراق بيني وبينك.

وأوصيك بأخيك محمّد خيراً، فإنّه شقيقك وابن أبيك وقد تعلم حبّي له؛ وأمّا أخوك الحسين فهو ابن أمّك، ولا أريد الوصاة بذلك؛ والله خليفتي عليكم، وإيّاه أسأل أن

يصلحكم، وأن يكفّ الطغاة البغاة عنكم، والصبر حتى ينزل الله الأمر، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم».

وفي الرواية السابقة أنّه لما أوصى أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام بوصيّته قال:

«فإذا أنا متّ يا أبا محمّد فغسّلني وكفّنّي وحنّطني ببقيّة حنوط جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّه من كافور الجنّة جاء به جبريل إليه؛ ثم ضعني على سريري، ولا يتقدّم أحد منكم مقدّم السرير، واحملوا مؤخره واتبعوا مقدّمه، فأيّ موضع وضع المقدّم فضعوا المؤخّر، فحيث قام سريري فهو موضع قبري.

ثمّ تقدّم يا أبا محمّد وصلّ عليّ يا بنيّ يا حسن، وكبّر عليّ سبعاً، واعلم أنّه لا يحلّ ذلك على أحدٍ غيري إلاّ على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهديّ، من ولد أخيك الحسين، يقوّم اعوجاج الحقّ؛ فإذا أنت صلّيت عليّ يا حسن فنحِّ السرير عن موضعه، ثم اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً ولحداً مثقوباً وساجةً منقوبة، فأضجعني فيها. عليّ، ثمّ غيّب قبري؛ ثم يا بنيّ بعد ذلك إذا أصبح الصباح

أخرجوا تابوتاً إلى ظاهر الكوفة على ناقة، وأمر بمن يسيّرها بما عليها كأنّها تريد المدينة، بحيث يخفى على العامّة موضع قبري الذي تضعني فيه».

ويروى عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر ابنه الحسن عليه السلام أن يحفر له أربعة قبور في أربعة مواضع: في المسجد (الكوفة)، وفي الرحبة، وفي الغريّ (النجف) وفي دار جعدة بن هبيرة، وإنّما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره.

وقيل كان الغرض من إخفاء القبر أن لا يعلم الخوارج وبنو أميّة موضعه، وكانوا في غاية العداء والبغض له عليه السلام لئلاّ يحفروه ويخرجوا جسده المطهَّر؛ ولم يزل قبره مخفيّاً حتى أيام الإمام الصادق عليه السلام حيث التمس منه بعض المؤمنين أن يدلّهم على قبر جدّه بقصد زيارته، ففعل؛ وفي أيام الرشيد أصبح موضع مضجعه المنوّر ظاهراً ومعلوماً من الجميع بتفصيل لا يتّسع المقام لذكره.

قال الراوي: ثم إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال:

ثم قال: «يا أبا عبد الله، أنت شهيد هذه الأمّة، فعليك

بتقوى الله والصبر على بلائه».

ثم أغمي عليه ساعة، وأفاق وقال: **«هذا رسول الله ﷺ، وعمّي حمزة، وأخي جعفر، وأصحاب رسول الله ﷺ وكلّهم يقولون: عجّل قدومك علينا فإنّا إليك مشتاقون».**

ثمّ أدار عينيه في أهل بيته كلّهم وقال: **«أستودعكم الله جميعاً، سدّدكم الله جميعاً، حفظكم الله جميعاً، خليفتي عليكم الله وكفى بالله خليفة».**

ثمّ قال: **«وعليكم السلام يا رسل ربي».**

ثم قال: **«لمثل هذا فليعمل العاملون، إنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون».**

وعرق جبينه وهو يذكر الله كثيراً، ومازال يذكر الله كثيراً ويتشهّد الشهادتين، ثمّ استقبل القبلة، وغمّض عينيه، ومدّ رجليه ويديه وقال:

«أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله».

ثمّ قضى نحبه صلوات الله عليه، ولعنة الله على قاتله.

بيان غسله وتكفينه:

قال محمّد بن الحنفيّة: ثمّ أخذنا في جهازه ليلاً، وكان الحسن عليه السلام يغسّله، والحسين عليه السلام يصبّ الماء عليه.

ثمّ نادى الحسن عليه السلام أخته وقال: يا أختاه هلمّي بحنوط جدّي رسول الله ﷺ فبادرت زينب مسرعة حتى أتته بحصّة أمير المؤمنين عليه السلام من الحنوط الذي بقي بعد النبي وفاطمة عليها السلام (وكان من الكافور الذي أحضره جبرئيل عليه السلام من الجنّة)؛ ثمّ لفّوه بخمسة أثواب كما أمر عليه السلام، ثم وضعوه على السرير.

كيفيّة تشييعه ودفنه:

وقد شيعه أبناؤه وكان ابنه الإمام الحسين عليه السلام يقول:

«لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، يا أباه، وانقطاع ظهراه، من أجلك تعلّمت البكاء، إلى الله المشتكى».

ويروى عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«دفن أمير المؤمنين عليه السلام بناحية الغريّين قبل طلوع الفجر، ودخل قبره الحسن والحسين ومحمّد بنو عليّ عليهم السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنه».

هذا وقد وقف صعصعة بن صوحان العبديّ (رضي الله عنه) على القبر، ووضع إحدى يديه على فؤاده، والأخرى قد أخذ بها التراب يضرب به رأسه، ثم قال:

بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين، هنيئاً لك يا أبا الحسن، فلقد طاب مولدك، وقوي صبرك، وعظم جهادك، وظفرت برأيك، وربحت تجارتك، وقدمت على خالقك فتلقّاك الله ببشارته، وحفّتك ملائكته، واستقررت في جوار المصطفى وشربت بكأسه الأوفى... وبكى بكاءً شديداً وبكى كلّ من كان معه.

* * *

خاتمة المطاف

كان الهدف من كتابة هذا الكتاب هو عرض سيرة الامام علي عليه السلام وحياته، وكان سعينا أن يكون شاملاً لمختلف جوانب حياته، من ولادته المباركة في بيت الله الحرام، وقصّة جهاده الطويل، وما رافق حياته الكريمة من حل لمعضلات، وتنفيس لكُربات، وخطب وأدعية وإرشادات، إلى شهادته عليه السلام وهو قائم في محرابه، يصلي لربه.

أرجو من العليِّ القدير ان أكون قد وفقت في ذلك، ومن الله نستمد العون، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الفهرس

الاهداء ٥
كلمة قبل البدء ٧
أمير المؤمنين ٩
الولادة ١٢
اسلامه عليه السلام ١٦
في القرآن الكريم ١٨
في أحاديث الرسول الأعظم (ص) ٢١
اليوم الأول ٢٥
مبيته على فراش الرسول (ص) ٢٨
حديث المؤاخاة ٣٢
حديث المنزلة ٣٤

شبيه الأنبياء ٣٦
إمامته عليه السلام ٣٧
مكسّر الاصنام ٤٢
رد الشمس ٤٤
زواجه عليه السلام ٤٧
بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ٥٠
سيرته عليه السلام ٥٣
عبادته عليه السلام ٥٧
تواضعه عليه السلام ٦٠
حلمه وعفوه عليه السلام ٦٣
شجاعته عليه السلام ٦٦
زهده عليه السلام ٦٩
عدله عليه السلام ٧٣
علمه عليه السلام ٧٥
سخاؤه عليه السلام ٧٩
أدعيته عليه السلام ٨٢
حكمه عليه السلام في طبيعة البشر ٨٥
حكمه عليه السلام في آدات الكلام والصمت ٨٦

حكمه عليه السلام في ذم الدنيا ٨٨
حكمه عليه السلام في الغنى والفقر والمال ٩٠
حكمه عليه السلام في الدعوة إلى الآخرة ٩٢
حكمه عليه السلام في الصفات الذميمة والنهي عنها ٩٤
حكمه عليه السلام حول العلم والعلماء والعقل والعقلاء .. ٩٦
وصيته للحسين عليه السلام ٩٨
حكمه القصار عليه السلام ١٠٠
كلامه عليه السلام ١٠٣
قضاؤه عليه السلام ١٠٦
أ ـ قضاؤه في عهد رسول الله (ص) ١١١
رجوع من تقدمه في الحكم إليه ١١٨
ب ـ قضاؤه في عهد أبي بكر ١٢٠
ج ـ قضاؤه في عهد عمر ١٢١
د ـ قضاؤه في عهد عثمان ١٣٠
أجوبته عليه السلام ١٤٠
شعره عليه السلام ١٤٦
استجابة دعائه عليه السلام ١٥١
محبته عليه السلام ١٥٥

إخباره بالمغيبات ١٥٨
مناجاته عليه السلام ١٦٠
طب الامام علي عليه السلام ١٦٤
الامام علي عليه السلام يوم القيامة ١٦٩
مدائحه عليه السلام ١٧٥
علي عليه السلام ومعارك الاسلام ١٨٢
أ - يوم بدر ١٨٢
ب - يوم أحد ١٨٥
ج - بني النضير ١٨٧
د - يوم الخندق ١٨٨
هـ يوم خيبر ١٩٩
و - يوم حُنين ٢٠٥
الفكر التنموي عند الامام علي عليه السلام
(بحث في عهد الامام عليه السلام لمالك الأشتر) ... ٢٠٨
رجال حول علي (ترجمة ١٨ رجلاً من أصحابه) ... ٢٢٩
استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام ٢٥٦
خاتمة المطاف ٢٨٣

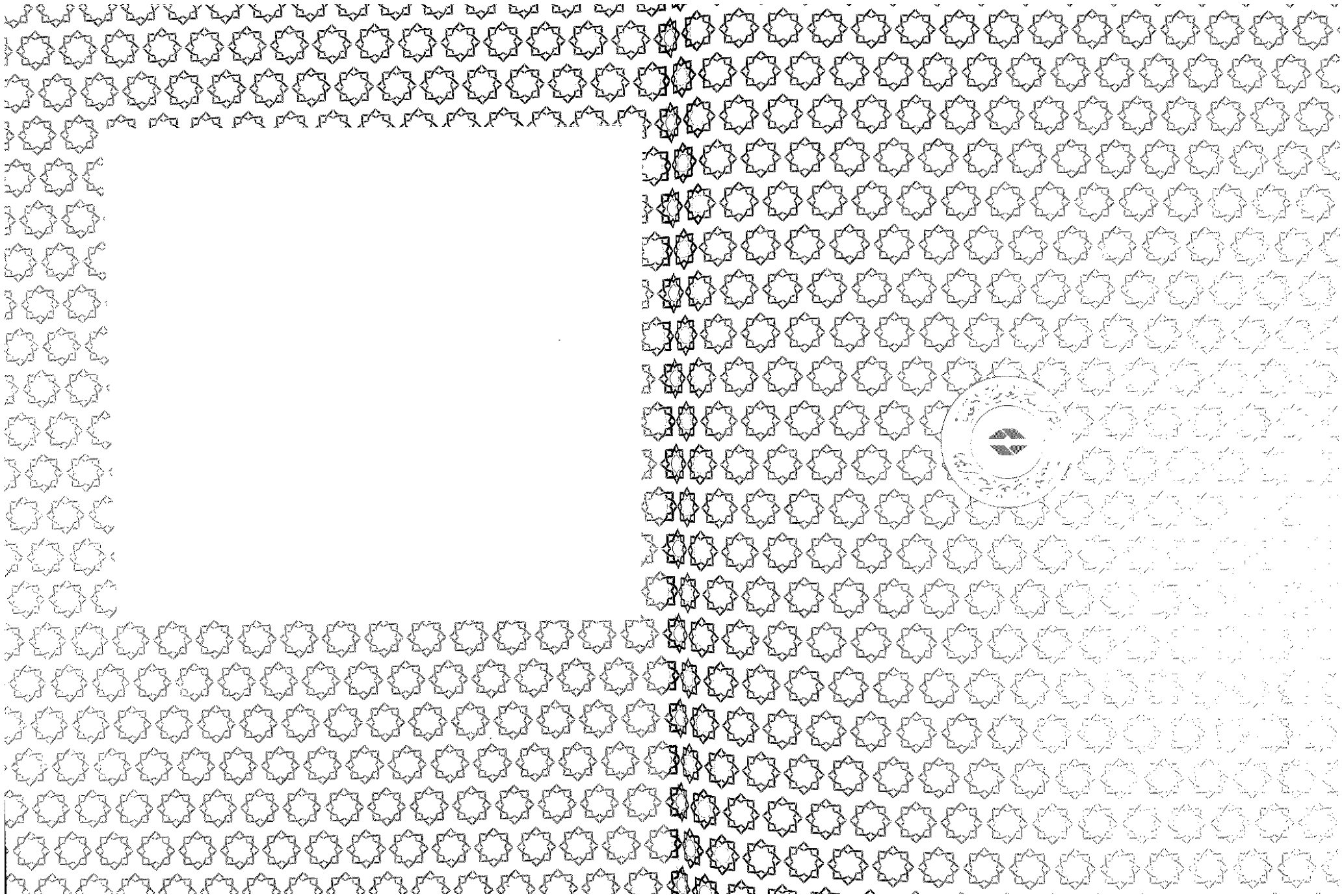

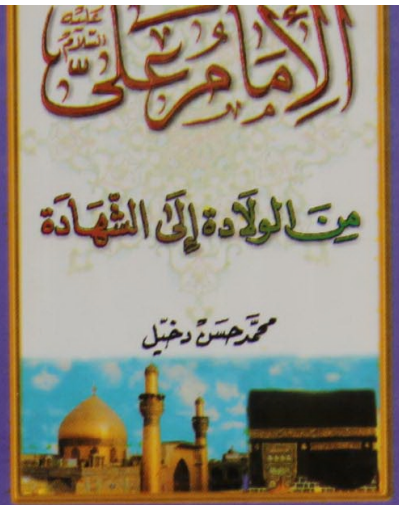

- سيرة الامام علي
- شجاعة الامام علي
- حكم ووصايا الامام علي
- أدعية الامام علي
- شعر الامام علي
- رجال حول الامام علي

دار المرتضى
للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان - بيروت - ص.ب. ٢٥/١٥٥ الغبيري - تلفاكس: ٠١/٨٤٠٣٩٢